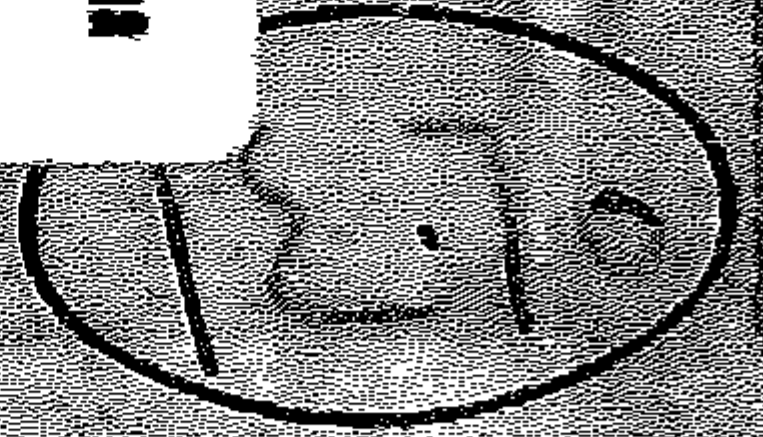


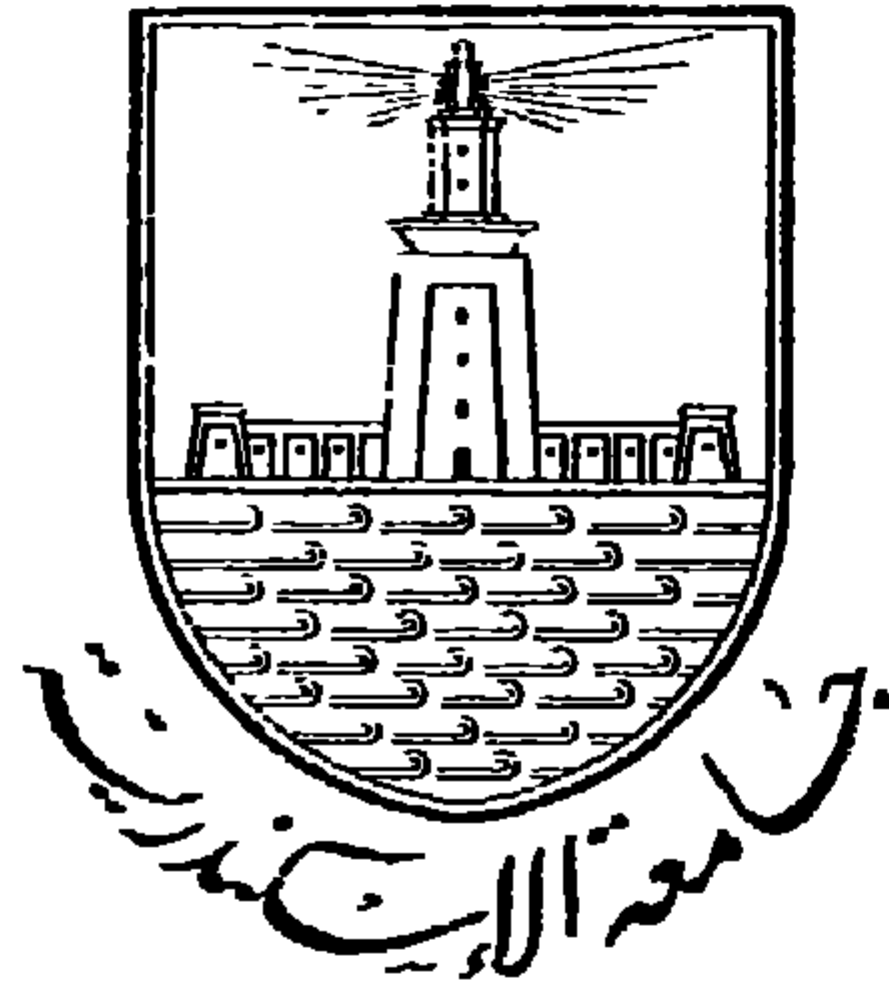
مذاهب و شخصیات

رجال من افريقية

بقلم: عبد بدوي

تقديم: حبيب حماماني





المكتبة

مذاهب و شخصیات

رجال من افریقیة

بقلم : عبده بدوی

تقديم : بقلم حبيب حمامانی

تقديم بقلم / حبيب جاماتي

العنلاق يصحو .. المارد يخرج من القمقم .. افريقية تستيقظ من سباتها العميق .. الشعوب السمرء تنشد الحرية .. هذه عبارات دارت على الألسنة ، وطافت على رءوس الأقلام ، وألفتها الأسماع ، بعد ان وضعت الحرب العالمية أوزارها مباشرة فى عام ١٩٤٥ ، وقد اتسع ترددها فى السنوات التالية وبعد أن كانت فى بادىء الأمر بمثابة قالب أفرغت فيه آمال الافريقيين وأمانيتهم أصبحت تدل على حقائق ملموسة، ووقائع راهنة : فالمارد حطم القمقم والعنلاق وقف منتصباً على قدميه ، يتحسس عضلاته ، ويضم قبضته ، ويتحدى ويتوعد . والشعوب الافريقية انتقلت من حال الى حال : - من المطالبة بالحرية الى التمتع بها ومن التغنى بالاستقلال الى ممارسته .

كل ذلك تم فى بضعة أعوام . وقد استتحت سنة ١٩٦٠ أن توصف بأنها سنة التحرر الافريقى ، وأنها الحد الفاصل فى تاريخ القارة بين عصرين :

عصر بلغ الاستعمار فى ختامه أوج السطوة ومنتهى الجبروت ، وعصر بدأ الاستعمار فى مطلعه يتمايل ويترنح ثم ينهار .

كانت الدول الاستعمارية التى اقتسمت افريقية ، واستأثرت بخيراتها واستبدت بمقدرات شعوبها ، تعتقد أن سلطانها دائم لن يزول، وحكمها ثابت لن يتزعزع .

عاشت الشعوب المستعمرة فى هذا الوهم عشرات السنين ، وأعمى الطمع بصرها وطمست الكبرياء بصيرتها ، فلم تر العنلاق وهو يتشأب قبل أن يشب ، ولم تظن الى المارد وهو يضرب بكفه فوهة القمقم، ولم تدرك أن الدنيا التى ضحكت لها بدأت تعبس فى وجهها وأن الدائرة التى دارت على غيرها أوشكت أن تدور عليها .

ان ما حدث فى افريقية ، فى الأعوام التى تلت الحرب العالمية

لدهش حقا .. مدهش بالصحة الجماعية التي شملت شعوب القارة
المغلوبة على أمرها ، ومدهش بالمفاجأة التي داهمت شعوب الغرب
الغالبة اللاهية عن الخطر .

قارة بكاملها تنطلق من الظلام الى النور ، من العبودية الى التحرر،
من التبعية الى الاستقلال .

كيف حدث هذا .. ؟ من الذى صنع المعجزة ؟ .. بأية لعبة من
الأقدار تحققت الأمانى والآمال ؟ .. بسحر أى ساحر - فى بقاع
لا يزال للسحر فيها مكانته بين الناس ونفوذه على عقولهم - نهض
الخانعون بالأمس من غفوتهم ، وانطلقوا فى الميدان الدولى يصولون
ويجولون ؟

هذه اليقظة الرائعة ، من الذى فجر طاقاتها ، فجعلت القبائل
تشعر بأنها أجزاء من شعوب ، والشعوب تدرك ان لها قومية تستحق
أن تأخذ مكانها بين القوميات التى تلتئم وتقوى وتتماسك فى رحاب
هذه الأرض ؟

من الذى جعل القارة الافريقية تهم باللحاق بالقارات الأخرى
وتعتزم السير ، متكاتفه متساندة ، الى مستقبل أكثر كرامة ، وإلى حياة
أوفر رخاء ؟

الحركة الجماعية - عند القبائل البدوية - وعند الأقوام البدائية ،
وعند الشعوب المتحضرة على السواء ، نتيجة لعمل فردى ، يبدأ صغيرا
ثم يكبر ويتسع ويثمر . فمن هم الذين حملوا فى صمت وصبر وأناة ،
ومهدوا السبيل أمام القبائل والأقوام والشعوب فى افريقية المسلوقة
المنهوبة ، لكى تتحفز وتتأهب ثم تولوا قيادها يوم وثبت وثبتها فى
طريق العزة والتحرر بعد أن كانوا يواسونها فى المحن والكروب ؟

لم يحدث فى قارة أخرى ما حدث فى افريقية . ولا سبيل الى
المقارنة بين تطور قضية الحرية فى القارة السمراء ، وتطورها فى غيرها
من القارات . فان وطأة الاستعمار فى افريقية كانت أشد منها فى أنحاء
الأرض الأخرى والشعوب الافريقية - اذا استثنينا شمال القارة -
كانت فى نظر طغاة الاستعمار وممارسيه ، تعتبر العنصر الأدنى من
الجنس البشرى ، بسبب لون بشرتها ، وضعف وسائل الدفاع عن
النفس عندها ، واذا كان الاستعمار قد داهمها فى مواطنها ، وطاردها
فى أدغالها وسهولها وجبالها ، فقد فعل ذلك فى بادئ الأمر ليس فقط
للاستيلاء على خيرات الأرض ، واستثمار ثروتها الطبيعية ، بل

أيضا ، وعلى الخصوص ، لامتلاك الأفراد ، فى وقت كان فيه الانسان يسترق أخاه الانسان ويبيعه فى الأسواق بيع السلع والحيوان .

كان على الأحرار فى افريقية أن يقوموا بدور أكثر صعوبة وأوفر مشقة من دور الأحرار فى بقاع الأرض الأخرى . وقد قاموا به على أحسن وجه ، وذاقوا فى سبيل أداء رسالتهم ، ألوانا لا حصر لها من الكبت والارهاق والعذاب والاضطهاد وتاريخ افريقية من هذا القبيل ، لا يزال فى حاجة الى استقصاء وايضاح وشرح وتثريح ، وشخصية الزعيم الافريقى أيا كان موطنه وأيا كان الشعب الذى ينتمى اليه ، تختلف اختلافا كبيرا عن شخصية الزعيم فى البقاع الأخرى ، أيا كان أيضا موطنه ، وأيا كان الشعب الذى ينتمى اليه .

وتاريخ التطورات الاجتماعية ، والوطنية ، والقومية ، فى مختلف أنحاء افريقية ، هو فى آن واحد تاريخ أقوام وتاريخ أفراد : أقوام عرفت أقصى أنواع الذل والعبودية وأفراد كان لهم من هذه العبودية وذلك الذل نصيبهم . وكان تفكيرهم - كأفراد وكزعماء - مشبعا برواسب الماضى المرير ، الغارق فى غياهب الأجيال ومتأثرا بما قاسوه هم أو بما قاساه آباؤهم وأجدادهم من آلام نفسية وجسدية بحكم الوضع الذى فرض عليهم فى المجتمع الانسانى ، وتون البشرة الذى وسمتهم به الطبيعة ، والمكان الذى شاعت لهم الأقدار ان يولدوا ويعيشوا فيه ، والنظرية العنصرية التى شملتهم بها أقوام احتكرت لنفسها الجاه والسيطرة والتحكم .

فأمام الكتاب والباحثين مجالات واسعة لا حدود لها ، يجمل بهم أن يخوضوا غمارها بغية استجلاء الغوامض التى تكشف تاريخ افريقية فى مراحلها القديمة والحديثة ، واستخلاص الدراسات والعبر من الأحداث التى تخللته وما أحاط بها من ملابسات وتسليط الأضواء على ما ظهر وما خفى من مقدمات البعث الافريقى العجيب .

وعلى حملة الاقلام العرب دون سواهم واجب لا يحق لهم ولا يليق بهم أن يحجموا عن أدائه ، فى هذا الميدان ، فان سبعين مليونا أو أكثر من بنى قومهم ينتمون الى هذه القارة . وقد ساهموا مساهمة فعالة فى معظم مراحل نهضتها المباركة ، وهم اليوم يتحملون نصيبهم من أعباء تنظيم شئونها ، وتوحيد صفوف أبنائها ، وتصفية ما تبقى من آثار الاستعمار فيها .

والكاتب الشاعر عبده بدوى ، واحد من حملة الأقلام العرب القلائل

الذين وطفوا العزم على الاضطلاع بذلك. الواجب والانتصاف الى معالجة
الشئون الافريقية وتعريف القارة الناهضة الى القارىء العربى . فقد
فعل ذلك بالقصيدة والبحث والأوبرا والاذاعة اللاسلكية وهو فى هذا
الكتاب الذى يسرنى أن أقدم له بهذه السطور يواصل أداء الرسالة التى
أخذها على عاتقه ، فيضع بين يدى القارىء سلسلة من اللوحات رسم
فيها مجموعة من الشخصيات الافريقية بالشعر المنثور أو النثر الشعرى
واختار تلك الشخصيات من مختلف البلدان والعصور ، من قديم الزمان
الى الآن فجعلها تنطق بلسانه ، وتعبر عن مشاعرها بقلمه وقد جاء كتابه
عن « رجال من افريقية » فتحا جديدا فى ميادين الأدب وأضاف الى
أساليب الكتابة أسلوبا مبتكرا يخرج بالقارىء عن المؤلف المطروق ،
ويطوف به فى عالم يمتزج فيه الواقع بالخيال وأى جو أصلى من الجو
الافريقى للقاء الخيال بالواقع ؟ ..

وقد بسط المؤلف فى مقدمة كتابه رأيه فى الدور الذى قام به
زعماء النهضة الافريقية ونظريته فى الشخصية الافريقية من الناحيتين
المادية والروحية ثم طبق الرأى والنظرية عمليا فى صياغة لوحاته فى
هذا القالب الفنى الطريف .

فهذا كتاب يجد فيه القارىء شيئا جديدا . وهو جدير بأن يحتل
مكانا خاصا فى المكتبة الافريقية التى تكبر وتتسع مع الأيام .

حبيب جاماتى

مقدمة

مما لا شك فيه أن دراسة الشخصية فى هذا العصر لا تصبح عميقة وجادة الا اذا كانت تحمل صفة الشعب الذى تنتمى اليه فالشخصية لاتصبح كاملة الا اذا أعطت صورة نفسية للشعب الذى ظهرت منه هذه الشخصية .

واذا كان هذا هو المطلوب من الشخصية فى أى مكان ، فان الشخصية بهذا المفهوم لم تتحقق الا فى الشخصية الافريقية - فى هذا العصر .

ذلك لأن الزعماء الافريقيين أحسوا أنهم لا شىء بدون أن يحملوا فى أعمارهم افريقية بتاريخها .. بعذابها .. بسقوطها .. ثم أخيرا بانتصارها .

فاذا أضفنا الى هذا أن الشخصيات الافريقية لم تنفصل عن القاعدة ، وأن النظام الافريقى لا يعرف الطبقات .. أدركنا أن هذه الشخصيات تحمل فى تاريخها « الضمير الاجتماعى » فى القساسة ، وان التفكير الفردى يكاد يكون معدوما فى كل شىء يصدر عن الحياة هناك .

ولقد وقع هؤلاء الزعماء فى دائرة الاغراء ، فأكثرهم قد عرف العالم الغربى فى بلاده واحتك به، ثم زاد هذا الاحتكاك حين خرجوا من الدائرة الافريقية ، الى الدائرة الأوربية .. فهناك تسلطت عليهم الحضارة الغربية وعملت على امتصاصهم ونسيانهم ما ضيهم ، ولكنها لم تصل الى ما أرادت من هؤلاء الرجال .

ولعل أكبر دليل على هذا أن الزعماء الذين حملوا لواء المقاومة ، والذين وجهوا للاستعمار ضربات سريعة ومذهلة

هم هؤلاء الزعماء الذين عانقوا الحضارة الغربية والذين وقع عليهم تأثيرها كأقوى ما يكون هذا التأثير .

والزعماء الافريقيون فيهم نضارة الصباح الجديد وفيهم هذا السخاء الذى يشبه سخاء النور فى بلادهم ، وفيهم هذه الجماعية التى لا يستطيع أن يتصور الانسان واحدا منهم الا والقارة فى جنبه كالقلب ، وفى ضميره كالنور .

وقد يبدو سؤال يقول « لماذا اقتضت على هؤلاء الرجال فى هذا الكتاب ؟ » والجواب : انى وضعت خطه شامله للتعريف برجال الفارة سياسيا واجتماعيا وأدبيا وفنيا ، وانه سبق لى أن قدمت فى كتابى « شخصيات افريقية » خمسا وثلاثين شخصية .

ثم حين طلبت منى الاذاعة تقريب بعض الشخصيات الافريقية الى المستمع وادخالها الى نفسه عن طريق الدراما ، وجدتني أقدم هؤلاء الرجال . وقد بدأت بليوبولد سيد ارسنفور رئيس جمهورية السنغال الذى بعد أن تعلم فى بلاده ذهب الى فرنسا ، وكان أول افريقى يحصل على « الاجريجاسيون » ومع انه اشتغل بالتدريس فترة فان ولادته السياسية الحقيقية لم تتأكد الا حين ألف هو وزميله لامين جويبى فى عام ١٩٤٥ الكتلة الافريقية التى كانت تعتبر امتدادا للحزب الاشتراكى الفرنسى ، ومع أن فرنسا امتصته فى أول الأمر سياسيا وفنيا ، فانه استطاع أخيرا أن يصل الى نوع من التطبيق الافريقى للاشتراكية العلمية ، وان يلتفت التفاتة كبيرة من خلال مجلته « الوجود الافريقى » . الى الثقافة الافريقية ، والى الوصول بالشعر الافريقى الى أن يكون على حد قول جان بول سارتر - من أروع الأصوات التى تسمع فى القرن العشرين .

وقدمت وليم تيمان رئيس جمهورية ليبيريا كواحد من الذين ذوبوا المتناقضات فى بلده ، وكأحد الذين يكسرون العزلة التى كانت مفروضة عليهم فى الماضى ثم يندمجون فى الدائرة الساخنة التى تعيش فيها افريقية فى هذه الأيام .

قدمت نيلسون مانديلا من خلال عذاب المواطنين فى جنوب افريقية وكيف أنه لم ينهر فى السجن أو يضعف ايمانه بقضية بلاده .

كما قدمت كينيث كواندا رئيس وزراء زامبيا كدليل على الاصرار الذى يوصل دائما الى الغاية .

من الأدباء والفنانين والمفكرين قدمت القصاص عثمان سمبين من السنغال والمثال ساد من ساحل العاج ، وقدمت الدكتور وليم دوبا والدكتور جيمس اجراى كمثالين من المثقفين الذين استوعبوا كل ما قالته الحضارة الحديثة ، ثم جعلوا هذه الحضارة فى خدمة افريقية ، وكمثالين فى الوقت نفسه لاستعصاء بعض المفكرين عن الذوبان فى العالم الجديد بحيث يصبحون نسخا مكررة يمتلئ به هذا العالم .. فقد كان فى امكانهما أن يعيشا متصالحين مع العالم الجديد ، ولكنهما آثرا أن يقولآ كلمة جديدة ولقد كانت هذه الكلمة الجديدة من أجل افريقية .

وبالاضافة الى هذه الوجوه المألوفة الينا آثرت أن أقدم بعض الوجوه القديمة مثل الملك نخاو وحميد المرجبى ، وعمر مكرم ، ورابع فضل الله .. كدليل على أن التربة الافريقية كانت تبحث فى الماضى عن التلاقى بالقارة ، وكانت تقف فى صلابة بالسيف وبالكلمة فى وجه الدخلاء على افريقية ، سواء أكان هؤلاء الدخلاء من الأوربيين أم من غير الأوربيين .. ومهما يكن من شئ فانى اذا كنت بهذا الكتاب وبأشواقه الستة فى هذا المجال .. قد قربت افريقية الى قلبك فانى أكون قد أصبحت قريبا من الهدف الذى حددته من أجل التعريف بافريقية ، وأكون قد ضمنت الى نفسى السعادة وقبلت المستقبل .

عبدہ بلوى

ليوبولد سيد ار سنغور

سونيا : « أغاني الطيور تظهر مرفرفة في السماء

الحشائش الخضراء الأنيقة

تدلنا على ابريل

أنا أسمع نسمات الفجر

تحرك الثلج الأبيض على ستائري

أنا أسمع أغنية الشمس الملحنة

على شراعتي نافذتي » •

محمد : ما أجمل هذا ؟ شعر • وزوجة جميلة • ونيل في السنغال

سونيا : محمد لقد حضرت ... منذ متى قدمت ؟

محمد : من الوقت الذي رفرت فيه الطيور في السماء •

سونيا : والآن عليك أن تكمل هذه القصيدة • ترى هل تذكرها ؟

محمد : ومن منا لا يذكر شعر «سنغور» •

سونيا : هآنا أصغى •

محمد : « اسمعي الرياح الحارة في « ابريل » من القارة

اسمعي صوت الزحلفة على الجليد

وأجنحة السنونو التي تهفف حولنا

وأصوات « اللقالق » البيضاء والسمراء

اسمعي رسالة الخريف من العمر الآخر

ومن القارة الأخرى

اسمعى رسالة افريقية الجديدة »

سمونيا : ما أجمل هذا ؟ يخيل الى أنا لا نعيش فى السنغال وانما فى جمهورية الشعر ..

محمد : انه رئيس الجمهورية .

سمونيا : بل هو الدليل الحى على أن الشعراء العظام يستطيعون قيادة كل جوانب الحياة ..

ترى ماذا كانت عليه حياته ؟

محمد : ان حياته تكاد تكون سوية منذ ولادته فى عام ١٩٠٦ حتى فترة ذهابه الى فرنسا للتعليم ..

سمونيا : ان من مميزات حياته أنه أحب فرنسا كأعمق ما يكون عليه الحب .

محمد : ان من يهاجمونه يقولون انه ظل للسياسة الفرنسى ولكن من يتعمقون حياته يعرفون أنه لم يعشق الا « الفكر الفرنسى » فالفكر الفرنسى هو وطنه الثانى بعد افريقية .

سمونيا : ومن أجل هذا الفكر التحق بالجيش الفرنسى ليدافع عن الثقافة الفرنسية .

محمد : ومن أجلها وقع فى الأسر .

سمونيا : لقد حاول الألمان اغراءه ، ولكنه تمرد عليهم ، بل لقد وصل الأمر الى تنظيمه حركة للعصيان بين الأسرى لأنه كان يعتقد أنه اذا خان فرنسا فانه لن يخون الا الثقافة الفرنسية .

محمد : ولقد رجع بكل هذا الولاء الى السنغال .

سمونيا : صحيح أن حزب الكتلة الافريقية كان امتدادا للحزب الاشتراكى الفرنسى ولكن هذا التأثير الفرنسى فقد بريقه بعد ذلك فى حزب « الكتلة الديمقراطية السنغالية » وفى حزب الكتلة التقدمية السنغالية .

محمد : نعم . فقد أصبحت له « وجهة نظر » افريقية فى كل مجالات الحياة .

سونيا : من الغريب أن هذا يمكن تطبيقه عليه كشاعر .

محمد : وكيف ذلك ؟

سونيا : لقد امتص جميع الاتجاهات الفنية في فرنسا ، ولكنه لم يجد نفسه في هذه الاتجاهات ، ومن هنا كانت التفاتته العميقة الى هذا الاتجاه الذي تحدد تحت اسم « الزنجية » .

محمد : لقد وضع جان بول سارتر هذا بقوله : ان الزنجية في الشعر الافريقي هي حركة عنصرية تناهض العنصرية ، هي لحظة الرفض للضغوط الأوروبية على الانسان الافريقي .

سونيا : ان معنى هذا أن جذورها قديمة .

محمد : ان جذورها ترجع الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، أما ثمرتها الحقيقية فكانت بعد الحرب العالمية الثانية .

سونيا : يخيل الى أنها تحدثت تماما حينما أخذت فرنسا بسياسة الإدماج .

محمد : ولقد كانت السنغال أول بلد نفذت فيه هذه السياسة

سونيا : ومن هنا كانت الصرخة الحقيقية وهي تصعد من قلب « سنغور » وهو يكتب وهو يناقش وهو يفعل بالاحداث وهو يمتص الحياة والطبيعة من حوله .

محمد : ولقد كان من الملاحظ ان زنجية القصيدة تنصب على المضمون دون الشكل ، وانها كانت تتميز بسخاء العاطفة وتستوحى المادة الخام من الفولكلور الافريقي .

سونيا : وبرغم كل هذا فقد كانت افريقية تبدو في هذا الشعر « جنة ضائعة » وحلما يجرى التذكر وراءه للنظر في ملامحه .

محمد : هذا بالاضافة الى أن شعراء هذا الاتجاه قد استطاعوا امتصاص كل أنفاس الطبيعة ومعانقة القوة النامية في الحياة .

سونيا : ثم انهم استوعبوا الثقافة الفرنسية وعبروا من خلالها بعمق وفهم .

محمد : لقد كان الكثيرون يشكون من تمزق قلب السنغال في كلمات

فرنسا الباردة ولكن سنغور اعتبرها لغة محايدة تعبر عن
الانسان في كل مكان .

سونيا : مهما يكن من شيء فقد عبر سيزار عن هذه الزنجية بقوله : «

(ان زنجيتي ليست صخرة بل هي حمم)

حمم أقذفه في وجه الصخب الذي يغلي به النهار

ان زنجيتي ليست شريطا مصورا لمياه ميتة

أمام أعين الدنيا الميتة

انها تتغلغل في أعماق الارض

انها تنساب في جسد السماء الملهب

كما انها تحتوى الامتدادات المظلمة بالصبر الجاد ، .

محمد : مهما يكن من شيء فان سنغور قد أعطى الاشتراكية تطبيقا.

افريقيا كما أنه في الوقت نفسه حول الحياة الى أناشيد

قدسية ، وأعلن الميلاد العظيم لافريقية الشاعرة ، وقدم

دراسات ممتعة في النقد وعلم الجمال .

سونيا : لقد انتخب في عام ١٩٦٠ رئيسا لجمهورية السنغال ،

وتجددت رياسته في ديسمبر عام ١٩٦٣ ولكنه سيظل أبدا.

الرئيس الحقيقي لافريقية الشاعرة .

محمد : بل هو شاعر انسان لا يقف عند حدود افريقية ولعل شعره

أعظم انتصار افريقي معاصر للعالم .

سونيا : لكل العالم

محمد : والآن هلا اطلعت لهذا الليل فجرا من شعره .

سونيا : يا صديقي في الوجود الافريقي

لقد شعرنا معا بالسعادة

حيث ان افريقية دائما حولنا

فهنا أثاث من غينيا والكونغو

وأقنعة صافية على حوائط بعيدة

وان كانت جد قريبة
وهنا عطور خذة ومتكبرة •
وهنا وسائل الصمت والاسترخاء
مثل الآبار الهادئة
وهنا الكلمات الخالدة
والأغاني البعيدة المتتابة
وكانها تمثل برتابتها
جلود أسود من السودان
ثم ان هناك الضوء الأزرق الصديق
وهناك الضوء الأسود
وهناك الضوء الأبيض
وهناك الضوء الأحمر
آه .. ما أعجب هذا الضوء الأخير
فهو مثل التربة في افريقية •

وليم تيمان

- آرثر :** وليم .. ان السعادة ترفرف على جبينك ..
- وليم :** ولكن وجهي عاش من غيرها كثيرا ..
- آرثر :** المهم أن كل شيء فيك الآن ينطق بالسعادة ..
- وليم :** لقد ولدت عام ١٨٩٥ ودرست القانون ، واشتغلت بالمحاماة .
وبالقضاء كما انتخبت لعضوية مجلس الشيوخ ولكنى لا
أذكر أنى ابتسمت ابتسامة كاملة فى هذه الفترة ..
- آرثر :** ولكن الناس يتحدثون عن ابتسامتك فى كل مكان .. بل ان
بعضهم يقول انها من أسرارك السياسية .. وانهم لو جردوك
منها لتأثرت نتيجة انتخابك لرياسة الجمهورية ..
- وليم :** لاتنس أنى انتخبت أربع مرات لرياسة جمهورية ليبيريا
- آرثر :** وأعرف أن نتيجة انتخابك فى عام ١٩٦٠ كانت مائة فى
المائة ..
- وليم :** الحق أن الشعب كرمنى أكثر من مرة ..
- آرثر :** ذلك لأنك جعلته يستمتع بانسانيته ..
- وليم :** وأى شيء تكون الحياة اذا لم يستمتع فيها الانسان
بانسانيته .. ؟
- آرثر :** لقد كان أمر التفرقة العنصرية عندنا شيئاً غريباً ..
- وليم :** أنت تعرف أنها كانت « عنصرية سوداء » ..
- آرثر :** وهذا مايزيد فى غرابتها ..

وليم : انه قد يكون مقبولا أن يتعالى انسان أبيض على انسان أسود .. أما أن يتعالى الانسان الأسود على أخيه الأسود .. فأمر يدفع الى الغرابة .

ارثر : لقد كنت أنت المثل الطيب الذى ضربته لهؤلاء المهاجرين من أمريكا الى البلاد ..

وليم : لقد كنا جميعا سودا دفعت بنا تجارة الرقيق الى أكثر من مكان فى العالم .

ارثر : وفى العالم الكبير عرفنا التشرد والقلق والتمزق ..

وليم : ثم كانت عودتنا الى «افريقية الأم» بعد أن انتزعنا من صدرها وحنانها ومن تلك الرائحة التى لا يشمها الطفل الا على ثدى أمه ..

ارثر : وحين حضرنا الى هنا بفضل « جمعيات التعمير » الأمريكية ورفعنا لنا شعارا جديدا ..

وليم : نعم فقد كان هذا الشعار هو «حب الحرية جاء بنا الى هنا» ..

ارثر : ولكننا اصطدمنا بسكان الداخل ..

وليم : اصطدمنا بذكرياتنا .. وبأشقائنا الذين تربوا معنا على صدر افريقية ..

ارثر : ولكننا انتزعنا انتزاعا قاسيا .. ومع أننا تألمنا كثيرا الا أنه من خلال تألمنا عرفنا الكثير من أساليب الحياة وهذا ما لم يتوافر لسكان الداخل ..

وليم : ولكن هل يبرر هذا أن نسلبهم حقوقهم ، أن نقوم بصيده كالحوانات – ودفعهم الى الاسبانيين للاستعانة بهم فى الاعمال الشاقة .

ارثر : أنا معك ان الحكومة كانت على علم بهذا ..

وليم : بل كان لها يد فى هذا الى حد أن منزعج يانسى نائب رئيس الجمهورية كان على رأس هذا التنظيم والى حد أن الأطفال كانوا يرهنون فى مقابل الديون .. لقد رأيت كثيرا من هؤلاء الأطفال فى منزلى ..

أرثر : أنا معك فى أنا تاجرنا فى اخواننا وأننا مزقنا الوطن الى
السود الوافدين والسود المقيمين .

وليم : اننا نمثل واحدا فى المائة من مجموع سكان ليجيربا وقد رأينا
أن الوطن لن تقوم له قائمة الا اذا حركه تسعة وتسعون جناحا
بالاضافة الى الجناح الذى كان يمثلنا ..

أرثر : ونالوا حقوقهم لأول مرة فى عهدك ..

وليم : وعادت البسمات الى الوجوه ..

أرثر : ولم يعد الأخ يبيع أخاه ..

وليم : ولم يعد الطفل يرهن فى مقابل دين ..

أرثر : وأصبح هناك توازن بين القوى القبلية ..

وليم : لقد قضينا على الاشياء المحسوسة . ولكن بقيت هناك أشياء
لم نقض عليها تماما ..

أرثر : وما هذه الأشياء التى فى النفوس ؟ ..

وليم : أتشهد من هنا تمثال « ماتيلدا نيوبوريت » ؟ ..

أرثر : انه تمثال البطلة التى تحمى بلادنا ..

وليم : وهل كانت هناك بطلة بهذا الاسم ؟ ..

أرثر : لقد كانت هناك سفينة بهذا الاسم السفينة التى حملت
الكثيرين من العالم الجديد الى هنا ..

وليم : ولماذا يصورونها اذن شامخة من خلف مدفع وهى تطارد بعض
سكان الداخل ؟ ولماذا ينسجون حولها الأقاصيص التى تدور
جميعها حول غلبة الوافدين على المقيمين .. لماذا ؟ ..

أرثر : وما الذى تريد عمله ؟ ..

وليم : ما أقوم به الآن من عملية التقريب المستمر بين السكان بحيث
لا تصبح عملية التفرقة الا ذكرى مزعجة ..

أرثر : ولكنهم يقولون ان بلادنا من أولى البلاد التى نالت الحرية فى
افريقية ومع ذلك تعيش فى شسبه عزلة عن الأحداث وعن
التطور الصاخب الذى يسود القارة ..

وليم : ان بلادنا تعتبر القاعدة الصلبة لدول متروفيا وأنا معك فى أن القارة بعد المؤتمر الافريقى بأديس أبابا قد دمغت هذه التكتلات وأصبحت تعمل الآن من أجل وحدة افريقية شاملة وأنه يجب علينا أن نسير فى هذا الطريق فهو طريق الغد ..

ارثر : ان معنى هذا كذلك أن القادة الشيوخ لا يتخلفون فى تفكيرهم عن القادة الشبان .

وليم : ان القارة تحتاج الى الشيوخ كما تحتاج الى الشبان .

ارثر : بل هى فى حاجة كذلك الى تلك التجربة الضخمة التى قمت بها فى بلادك ، وفى حاجة الى أن يحب الافريقيون بعضهم بعضا ومتى أمن الافريقى لأخيه سارت القارة فى طريق الرخاء وطريق المستقبل ..

وليم : لقد هيات بلادى لهذه التجربة ..

ارثر : وهذا مايجعل شعبك فخورا بك .. بل ما سيجعل القارة غدا فخورة بك ..

وليم : أرجو أن يمد الله فى أجلى حتى أرى هذا الفجر ..

ارثر : ان الفجر ليس بعيدا كما تظن .. هل تسمع هذه الاصوات ...؟

وليم : انها أصوات طيور البحر .. تحمل الينا الصفاء والبهجة والأمل ..

ارثر : وتحمل الينا الفجر ..

كينث كواندا

- جون :** كينيث كواندا .. هل تذكر هذا المكان ؟
- كواندا :** وهل أستطيع نسيان مسقط رأسي ؟ هل أستطيع نسيان ..
لوبوا ؟
- جون :** لقد عشنا فيها أياما سعيدة ..
- كواندا :** بل مازلنا نعيش هذه الايام لانها باقية فينا ..
- جون :** لقد كانت فترة اخضرار الحياة ..
- كواندا :** انى لا أزال أحسن بهذه النضارة كأننى ورقة على شجرة ..
- جون :** ان هذه الشجرة الآن تعيش بك . فأنت شجرة الحياة فى
روديسيا الشمالية .
- كواندا :** بل ان روديسيا هى الشجرة الحقيقية .. انظر ..
- جون :** ماذا ؟
- كواندا :** هذا المكان القريب من نهر الزمبيزى .
- جون :** انه مكان البيت القديم للأسرة .
- كواندا :** نعم ففى هذا المكان ولدت عام ١٩٢٤ .. وسمعت والدى
القستيس وهو يرتل الأناشيد الدينية وجلست تحت «مدرسة
الشجرة» التى كنا نتلقى الدروس تحتها .
- جون :** وفى هذا المكان ضربت كذلك .
- كواندا :** نعم فلازلت أذكر العلة الوحيدة التى تلقيتها من والدى .
- جون :** لقد كاد يقضى عليك فيها .

- كواندا** : نعم فما زلت أذكر العلة الوحيدة التي تلقيتها من والدي •
بالدهون والزيتون ، ورأيت الحزن في عينيه وصوته - ذهب
كل ما كنت أحسن به من ألم •
- جون** : لقد كان له صوت جليل مؤثر ! •
- كواندا** : ما زلت أذكر صوته وهو يقول لي :
- صوت** : ولدي •• لقد ضربتك لأنه لا ينبغي للانسان أن يدخل في
نزاع أو أن يدخل في مشاجرة مع أخيه الانسان •
- كواندا** : وحين قلت له لماذا قسوت على قال :
- صوت** : لأن البشرية جميعا أسرة واحدة ••
- جون** : انك تتكلم عنه بحنان •
- كواندا** : لأنه فتح قلبه وبيته لجميع المنكسرين في الحياة ولأنه كان
رحمة سوداء مجسدة •
- جون** : ولأنى أعرف أنك عانيت بعده ••
- كواندا** : لقد كنت أواصل العمل في البيت والحديقة الكبيرة وكنت
أنقل المياه من مسافة تبعد ميلين ، وأجلس الى الطاحونة لطحن
«الدخن» لوجبة العشاء •
- جون** : لا تنس أنى كنت أسساعذك في تنظيف آنية المطبخ وغسل
الملابس وجمع الحطب وفروع الاشجار •
- كواندا** : لقد ساعدنى كثير من المواطنين على ما وصلت اليه •
- جون** : فى الواقع لقد كنت تتميز دائما بالصلابة والتحدى لقد كنا
نسميك «هتلى» •
- كواندا** : الصلابة والتحدى « هتلى » • !
- جون** : نعم •• هل تذكر حينما عينت مدرسا فى موفوبوا وحينما
تحديث الحاجز اللونى المفروض هناك •
- كواندا** : لقد كان يوما عصيبا فقد دخلت من باب الصيدلية الامامى ،
فاذا بالفتاة التى تجلس على الآلة الكاتبة تصيح •
- الفتاة** : أوه •• هذا فظيع • !

- كواندا :** واذا بالصيدلى يصرخ :
- الصيدلى :** أيها الأسود .. لماذا لاتأخذ مكانك عند فتحة الجدار الخلفى ؟
- كواندا :** ويصبح أوروبيان فى الداخل •
- صوت :** هذا كثير - القردة لاتعرف مكانها الطبيعى •
- صوت :** عد الى شجرتك أيها الاسود •
- كواندا :** وتختلط هذه الأصوات وتتداخل وتشتبك وأنا اجد نفسى ملقى بعنف على الرصيف •
- جون :** ان هذا لايبلى شيئا الى جانب تحديق للأسد ، وهل تذكر هذا ؟
- كواندا :** وهل أنسى موقفا كهذا ..
- جون :** ولكن قل لى ، ماذا كان شعورك وأنت تواجه الأسد ؟
- كواندا :** كان شعور خيبة الأمل •
- جون :** تقول خيبة الأمل ؟
- كواندا :** نعم .. فقد كنت تحولت تماما الى عالم السياسة وشغلت نفسى بقضية وطنى وكنت أخرج فى حملات للتوعية بالقرى المجاورة وفى أثناء عودتى من إحدى القرى سمعت صوت أسد ورأيتة مقبلا على وحدتني نفسى بالفرار وشعرت بخيبة الأمل لأنى من لحظة كنت أقول للمواطنين انى سأقودهم الى الحرية وتقدم الأسد أكثر فوجدت نفسى أنزل عن الدراجة وأواجه بها الأسد وأنا أضرب الجرس وأضغط على البوق واذا به ينصرف •
- جون :** ان سر شخصيتك يكمن فى هذا الحادث •
- كواندا :** كيف ؟
- لأنك لاتفر من الحوادث وانما تواجهها بصلابة •
- كواندا :** الى هذا الحد ؟
- جون :** بلا شك فقد عملت بوعى فى « المؤتمر الوطنى الافريقى » وناديت بشعار « للرجل الواحد صوت واحد » وشعار « حتى

يهتز قدح الشاي من يد روى ولنسكي ، وبتكوين مؤتمر زامبية
الوطني - عام ١٩٥٩ الذي اصبح صاحب الكلمة الاولى في
البلاد .

كواندا : والآن ألا يرتجف قلبك ؟

جون : يرتجف قلبي ؟

كواندا : وترتعد مفاصلك . ؟

جون : من أى شيء ؟ .

كواندا : منى . . ألا تعلم أنى من أكلة لحم البشر .

جون : وبخاصة لحم الأطفال .

كواندا : ترى أين ذهبت هذه الأكاذيب التى أطلقوها على حزبي ؟

جون : لا أكذب عليك فقد كانت مثيرة .

كواندا : لقد رأيت بنفسى رجلا يهرب منى ، ثم يتسلق شجرة ورأيت
أما تحتضن ابنها فى حركة استشهاد .

جون : فلتعذر كل البسطاء فى وطنك فقد أشاع الأجانب فيهم أن
أعضاء مؤتمر زامبيا الوطنى من أكلة لحوم البشر .

كواندا : وبخاصة لحم الأطفال .

جون : لقد ذهب كل هذا وذهب معه اتحاد افريقية الوسطى ،
والعذاب الذى كنت تلاقيه فى السجن . . وبقي لوطنك أن
ينظر الى الفجر .

كواندا : الفجر . لشد ما يفتننى الفجر المطل على بلادى .

جون : لقد كنت دائما مفتونا بالفجر فى مدينة لوبوا وكنا نخشى
عليك أن تصبح شاعرا .

كواندا : بل ان وطنى فى لحظة شعر الآن . جون أتذكر الكلمة التى
ختمت بها كتابي « زامبيا فى سبيل التحرر » ؟

جون : نعم فقد كنت تتكلم عن الفجر عن « كواشا » كما يسمى فى
لغتنا .

كواندا : هل تذكر هذه الكلمات ؟

جون : نعم

كواندا : ردها .

جون : طالما . . . وقفت بين قومي في الظلام ونحن نهتف « كواشا »
وهأنذا أرى الظلمة تتبدد وها هو الصبح ليس منا يبعد .

كواندا : كواشا

اصوات : كواشا

كواندا : لكأن العالم يردد معنى هذه الكلمة . .

اصوات : كواشا . . كواشا . .

نيلسون مانديلا

- بيتى : انظر يا كومالو الى القمر ..
- كومالو : تقولين القمر ؟؟
- بيتى : نعم فمن شرفتنا هذه تستطيع أن تراه فوق منجم الذهب ..
- كومالو : ولكنى لا أراه الا فوق الوجوه المصفرة ..
- بيتى : وتستطيع من هذه الناحية أن تلمحه فوق منجم الماس ..
- كومالو : الماس .. ! تقصدين دموع الشعب ..
- بيتى : انك حزين الليلة يا كومالو ..
- كومالو : وهل كنت سعيدا فى يوم من الايام ؟
- بيتى : أنا معك فى انا لا نعرف السعادة فى « جوهانسبرج » ولكن حزنك العميق له موعد .. انت تعرف هذا الموعد ..
- كومالو : تقصدين اليوم الذى اختفى فيه وجهه .. ؟
- بيتى : وهل ينسى أحد وجه « نيلسون مانديلا » .. ؟
- كومالو : لقد أعاد الى ذكريات قرىتى .. وهو يدافع عن نفسه أمام البيض .. لازلت أذكر صوته وهو يقول ..
- مانديلا : « من عدة سنين .. حينما كنت ولدا صغيرا .. فى قرية « ترانسكى » كنت أستمع الى أحاديث شيوخ القبيلة وقصصهم عن الايام السعيدة التى مرت بهم .. قبل وصول الرجل الابيض .. ومن هذا اليوم وحب الحرية والعمل على رد كرامة الرجل الأسود .. يجرى فى دمي .. »

بيتي : انك بلا شك سعيد فأنتما من قرية واحدة ..
كومالو : وولدتنا في عام ١٩١٨ وان كان هو ينتمى الى قبيلة «تمبو»
ومع أننا تفرقنا الا أنني لازلت أذكر اليوم الذي حضر فيه لأول
مرة الى جوهانسبرج لازلت أذكر ذلك ..

(دقات على الباب)

كومالو : من يطرق بابي بهذا العنف .. ؟
مانديلا : افتح يا كومالو ..
كومالو : يا الهى .. صوت من هذا ..
مانديلا : قلت لك افتح ..
كومالو : من .. من .. ؟
مانديلا : صديقك ..
كومالو : نيلسون مانديلا .. يا صديقي .. متى قدمت .. ؟ ولماذا
حضرت الى جوهانسبرج ؟
مانديلا : لن أقول قبل أن أذوق طعامك ..
كومالو : اذن فلن تقول شيئاً ..
مانديلا : وهل وصل بك الحال الى هذا الحد ؟
كومالو : قل حال كل الذين يهاجرون من القرى الى « جوهانسبرج »
فالمدينة هنا وحش يقتل الأطفال .. ويعتصر الشباب ..
وينفى الشيوخ ..
مانديلا : المدينة تقتل الجميع .. ما أقسى هذا .. والآن هل يتوافر
الماء لديك .. ؟

كومالو : أما الماء .. فعندى منه ثروة كبيرة ..
مانديلا : اذن فأحضر لى كوبا من هذه الثروة ..
كومالو : تفضل ..
مانديلا : شكرا ..

كومالو : والآن لماذا قدمت ٠٠ وقد وصلتني أنباء بأنك في السنة الثالثة بكلية « فورت هار » الجامعية ؟

مانديلا : لقد كنت ٠٠ ولكنني فصلت لأنني دافعت عن حقوق الطلاب ٠٠

كومالو : وما مشروعاتك للمستقبل ٠٠ ؟

مانديلا : سأدرس هنا الحقوق ٠٠ لأشتغل بعد ذلك محاميا ٠٠ ثم زعيما للشعب ٠٠

كومالو : لعلك الآن الزعيم الوحيد الجائع في العالم كله ٠٠

مانديلا : وأى شيء في هذا اذا كنت أمثل شعبا جائعا ؟

كومالو : ومضطهدا ٠٠ وممزقا وحزينا ٠٠

مانديلا : والآن أحضر لي شيئا من الثروة ٠٠

كومالو : عن أية ثروة تتكلم ٠٠ ؟

مانديلا : عن الماء يا صديقي ٠٠ فهو ثروتنا الوحيدة ٠٠

(ضحك)

كومالو : هذا هو لقائي الأول به ٠٠

بيتي : ولكنه لقاء حزين ٠٠

كومالو : المهم اني رأيته بعد ذلك محاميا ٠٠ ومساهما في تكوين رابطة « شباب المؤتمر الافريقي الوطني » ثم رئيسا لها ٠٠ ثم وجه الثورة الحقيقي للبلاد ٠٠

بيتي : لقد نجح في خلق شعور التحدى ضد البيض ٠٠

كومالو : وكان هذا شيئا جديدا لدى المواطن الأسود فمن هذه اللحظة أحس بأنه خالق نفسه وأن عليه مسئولية الحرية ٠٠ وأن عليه ألا يتوقف حتى ولو كان الطريق مظلما أمامه ٠٠

بيتي : لقد وصل بنا مرحلة التوتر ٠٠

كومالو : والقلق والاحتجاج

بيتي : والمسئولية ٠٠

- كومالو** : ولكن عام ١٩٦٣ يراه سجيننا خلف القضبان ..
- بيتى** : ولكنه فى قلب الشعب وهو يتحرك .
- كومالو** : وسيبقى خمسة عوام أخرى .
- بيتى** : ولكنه يسجن البيض كل يوم .
- كومالو** : أنا أعرف أنه قتل النوم فى عيونهم ، وأنه حين يأتى المساء
يترك سجنه ويجول فى المدينة وان كل أبيض يحس بقدومه،
فيحكم الرتاج ، ويقرب كلب الحراسة ، ويقلقه المسدس.
الموضوع تحت الوسادة .. أنا أعرف هذا ولكنى أريد رؤية
وجهه .
- بيتى** : لا تعذب نفسك فأنا أراه الآن .
- كومالو** : ترين « مانديلا » ؟
- بيتى** : نعم ..
- كومالو** : انك تعذبيننى بهذا الحديث ..
- بيتى** : بل أنا أراه فى الغيظ الجاسم على جوهانسبرج ، فى
الضواحي التى يتكدس فيها السود ، فى الكلمات الجافة
والنظرات المشتعلة ..
- كومالو** : بيتى يا حبيبتى انى أراه الآن معك ..
- بيتى** : وأراه الآن يحتل المدينة ويغوص فى أعماق البيض ،
ويعذبهم ..
- كومالو** : بيتى .. ان القمر يضئ روحك الآن .. لكأنى أراك لأول
مرة ..
- بيتى** : هاهو يفرش بيتنا باللؤلؤ .. هنا هو يتسلق الجدران على
سلم من الفل ومن أحلام الطيور ..
- كومالو** : فلتغن يا بيتى للقمر ..
- بيتى** : سأغنى .. سأغنى دائما حتى لا يسقط القمر ..

عثمان سمبين

- احمدو :** والآن ها نحن فى بيته .
- فاطمة :** ان بيت « عثمان سمبين » هو كل السنغال .
- احمدو :** بلا شك فهو أحد المعالم الأدبية لافى السنغال فقط ولكن فى كل فى افريقية .
- فاطمة :** ان ما يحمد له انه كان من أوائل المتمردين على الأساليب الغربية ، وعلى منهج التصوير الخارجى فى العمل الأدبى .
- احمدو :** وعلى الطريقة الوصفية التى كانت متبعة فى القصص الافريقى،، لقد كانت افريقية تظهر فى هذه الأعمال كغابات ومراع ، وأنهار وعادات غريبة .
- احمدو :** ان هذا قد يقبل من أديب كهمنجواى حين كتب عن افريقية ولكنه لن يقبل من أديب افريقى يحس مأساة الانسان فى كل ما ترى عيناه .
- فاطمة :** على كل فعثمان سمبين قد أحس مأساة الانسان وعبر عنها بصدق مما يمكن القول معه بأنه عبر عن روح العصر وأحس بالوعى الثورى فى كل افريقية .
- احمدو :** لقد جعل الافريقى فى أعماله يقول كلمة « لا » .
- فاطمة :** ويحتج .
- احمدو :** ويدين عصره .
- فاطمة :** ويصرخ وهو فى البلاد البعيدة .
- احمدو :** وفى الداخل حين يحس بضغط الاستعمار، والرجعية والتقاليد العفنة .

- فاطمة :** ويضغط المدينة وهي تلتهم النضارة في الحقول .
- أحمدو :** وفي قلب الانسان .
- فاطمة :** كما أنا نحس في أعماله التناقض بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية .
- أحمدو :** والآن هل تشمين شيئا .
- فاطمة :** رائحة تبغ .
- أحمدو :** انه اذن قادم فهم يقولون : ان غليونه شيء مكمل له فهو لا يرى الا به .
- فاطمة :** انهم يقولون انه انتقل من احدى الطوائف الاسلامية الى طائفة أخرى لا تحرم التدخين .
- أحمدو :** والآن ها هو .

(فتح باب ثم خطوات)

- عثمان :** مرحبا بكما في بيتي .
- فاطمة :** لقد قرأنا لك ، وحين قدمنا الى « داکار » صممنا على رؤيتك .
- أحمدو :** ثم اننا من مسقط رأسك .
- فاطمة :** من اقليم « كاسامانى » .
- عثمان :** اقليم « كاسامانى » لشد ما أحب كل شيء فيه بل انى لا أكاد أتذكره حتى ألقانى بجانب أبى طفلا يحمل السمك فى أول الامر ، ثم صبيا يلقي بالشباك . ما اجمل حياة الصيادين ، ترى هل كل شيء ما زال هناك ؟
- فاطمة :** ان الناس هناك لا ينسون أحدا .
- أحمدو :** ثم انهم يتفاءلون باسمك حين يلقون الشباك .
- عثمان :** لقد كنت أود قضاء حياتى بينهم ، ولكن الحياة اختطفتنى الى داکار حيث اشتغلت « عامل بناء » ثم عاملا ميكانيكيا .
- فاطمة :** لا بد أن الحياة كانت شاقة بالنسبة لك .

عثمان : الى حد أنى تركت بلادى وعملت بالجيش الفرنسى وعرضت
عمرى للرصاص فى ايطاليا وفى ألمانيا •

أحمدو : ولكنك أفدت الحركة العمالية حين عملت فى ميناء مرسيليا
لمدة عشر سنوات •

عثمان : نعم • فقد كنت أول افريقى عمل على تأسيس اتحاد تعاونى
لعمال الموانى من أجل الحصول على حقوقهم وقد أعاننى هذا
على التجوال فى أوربا شمالا حتى « اسكندنافيا » وجنوبا حتى
حوض البحر الابيض المتوسط •

فاطمة : المهم انك جلت فى بلاد افريقية كثيرة •

أحمدو : وقدمت لنا أعمالا عظيمة • وبالمناسبة لماذا أقدمت على اخراج
فيلم تسجيلى بعنوان « صنغاي » ؟

عثمان : لأنى درست الاخراج لمدة عام فى باريس ولأنى أردت أن أقول
للعالم انه قد قامت عندنا حضارة ومن هنا كان فيلم
« صنغاي » •

فاطمة : يقولون ان أبطال أول أعمالك الأدبية يسيطر عليها الطمع
والخوف والتوتر •

عثمان : نعم فهم الأبطال الحقيقيون فى هذا العمل •

أحمدو : والآن ماذا كنت تقصد بعملك العظيم « عامل الميناء الأسود »
الذى صدر فى عام ١٩٦٠ ؟

عثمان : لقد صورت فيه البطل « دياوفاو » عاملا افريقيا يزرع القلق
فى نفوس عمال ميناء مرسيليا الذين كانوا يعانون من كل
شئ فى حياتهم وكيف دفعت البطالة والتمزق « دياوفاو » الى
أن يؤلف كتابا وكيف صورت له الآمال هو وخطيبته أن هذا
الكتاب سيوفر لهما العش السعيد و ...

فاطمة : هل تسمح لى بأن أكمل ؟

عثمان : لا بأس •

ورأت باريس البطل وهو يقابل بنظرات الغضب من الناشرين
الى أن تعرف بفتاة فرنسية وحين عرض عليها قصته طلبت
منه أن تتسلمها وستبحث بنفسها عن ناشر ، وماذا حدث بعد
ذلك ؟

عثمان : لقد عاد الى موطن عمله ، وفي يوم من الأيام أطلعه صديق على كتاب عليه اسم الفرنسية التي أخذت منه الكتاب وحين تصفحه وجده كتابه .

فاطمة : وكان أن ذهب الى هناك ، وبينما هو يعاتبها بعنف ، قتلت خطأ ، وكان أن حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة وحين سمعت أمه ذلك ماتت ، وفي الوقت نفسه أخذت الصحف والمجلات تنهشه على صفحاتها .

أحمدو : على كل أنا أعتبر أن قصتك « يا أرضي يا شعبي العظيم » التي صدرت في عام ١٩٥٧ تعتبر من أعظم أعمالك .

عثمان : لاتنس أني كتبت في عام ١٩٦٠ قصة الكفاح في سبيل الله وفيها تعرضت للتجمعات العمالية ومقاومة الحكومة لمطالب العمال بالعنف متوخيا في ذلك الدفع الثوري في البلاد .

أحمدو : وفي يدى لك الآن مجلد يحتوى على قصص وشعر . ولكن قصة « يا أرضي يا شعبي العظيم » تتفوق الأحداث والطريقة الفنية – بالاضافة الى الحيوية – على كل ما كتبت .

عثمان : على كل لقد جعلت مجالها فترة التفتح التي ظهرت في الحياة الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية . وحين يعود البطل السنغالي أوريمارفاى الى مسقط رأسه ويرغب في تغيير حياة الفلاحين يصطدم بالاستعمار وبالعالم الخرافات السائد بين مواطنيه .

فاطمة : لقد أعجبني موقف « أوريمار فاي » وهو يعمل على خلق مزرعة حديثة متعاونة لتقف أمام الاحتكارات الأجنبية ومع أن قوى الاحتكار تتمكن من قتل البطل الا أن دمائه تظل تتدفق على الأرض وفي نفوس الناس .

أحمدو : مهما يكن من شيء فانك لم تنعزل عن بلادك وعن الأفكار الذكية التي تشغل العصر .

فاطمة : وعن رغبتك الملحة في احداث تغيير في افريقية .

أحمدو : ولقد حدث هذا التغيير وأشهد أن بين ملامحه ما قد تكهنت به .

عثمان : فقد قلت كلمتي ولن أنظر في الخلف الى ما أحدثته لأنى مشغول بكلمة جديدة فعيناي دائما على مستقبل افريقية .

فاطمة : والآن ماذا تطلب وقد حققت مجدك الأدبى ؟

عثمان : عودة الى «كاسامانسي» أهرز فيها أيدي الفلاحين والصيادين .
عودة أطرح فيها الشباك وأغنى للسماك .

فاطمة : ولكنك تطرح الشبك الآن على اللؤلؤ .

فاطمة : وتغنى للناس .

أحمدو : لكل الناس .

المثال سادو

- سادو : أسرع يا ولدى فالشمس قد ملأت الكوخ .
- سانديانا : لقد ضقت بهذا الكوخ المستدير الشكل .
- سادو : تضيق بالبيت الذى فتحت عينيك على نوره .
- سانديانا : وبهذه الأكواخ التى تغطيه من القش .
- سادو : هكذا بيوت الافريقيين يا ولدى فى ساحل العاج .
- سانديانا : ولكنى أريد لك قصرا ضخما مبنيا بالحجارة .
- سادو : ولكن الحجارة ستمنع عنى النسمات التى تحمل لى على أطرافها دائما شيئا من نضارة الوطن ، وفرحة الحياة .
- سانديانا : وأريد لك متحفا يضم تماثيلك ..
- سادو : ولكن البلاد كلها متحفى . ثم انى لا أريد لتماثيلي نوعا من السجن ، انى أحس الغيرة فى بعض الأحيان من هذه التماثيل .
- سادو : هيا هيا يا ولدى الى الغابة ، فأنت التمثال الحقيقى الذى سيخلدنى أبدا ..
- سانديانا : ولكنك مجهد اليوم ، فهل تسمح لى بالذهاب منفردا ؟
- سادو : ولكن تعودت أن أملأ نفسى يوميا بخضرة الغابة ، وفرحة السماء وبشاشة أبناء قبيلة « موسى » .
- سانديانا : انى أرجو فقط .
- سادو : يا ولدى ان ما يحرك التمثال فى يدى هو احساسى بالحياة

من حولي ، وقد تعودت على لقائي بالطبيعة والناس في صباح كل يوم ..

سانديانا : وما الذي يحدث اذا أعطيت نفسك الراحة يوما ؟

سادو : لو حدث هذا لانطفأ السحر من أصابعي ، صحيح أني سأصنع تمثالا ، ولكني لن أتوجه بهالة النور التي تشع من انعكاس الروح وانفعالاتها ..

سانديانا : ان تناغم الحركة ، وانسياب التفاصيل في التمثال هو ما يميز فنك ، هو ما يجعل الجميع يفخرون بك .

سادو : لا تفخر بأبيك الى هذا الحد .

سانديانا : انهم يقولون عن « ساحل العاج » ان رائحة الربيع الدائم هو ما تميزه عن بلدان افريقية ، ولم يتحقق لي هذا الا عندما أدركت تلك النضارة التي توجد في تماثيلك .

سادو : والآن .. كيف أصنع هذه التماثيل .. ونحن نضيع الوقت في الحديث .

سانديانا : وماذا تريد يا أبي ؟

سادو : أن تحضر السلة .

سانديانا : ها هي السلة .

سادو : وعلبة الكبريت وبعض قطع الخشب وبعض الطعام .

سانديانا : كل ذلك في السلة .

سادو : أنت متأكد من وجودها جميعا ؟

سانديانا : وما يضيرنا اذا فقدنا بعضها ؟

سادو : وكيف نحصل على « شمع النحل » بدون هذه الأشياء ؟

سانديانا : لقد تيقنت من وجود علبة الكبريت وقطع الخشب .

سادو : والطعام ؟

سانديانا : عليك أن تخلقه خلقا .

سادو : وكيف أخلقه خلقا ؟

- سانديانا :** لا مناص من ذلك فالبيت خال من الطعام .
- سادو :** وماذا تفعل ؟
- سانديانا :** نصنع تمثالا لغزال ثم نأكله .
- سادو :** يا ولدى ..
- سانديانا :** أنا لا أخفى عليك أنى جائع .
- سادو :** ومن أى شىء أصنع الغزال هنا ؟
- سانديانا :** لقد نسيت أنه لابد لنا من الحصول على شمع النحل .
- سادو :** والآن هيا بنا .
- سانديانا :** هأنذا أتبعك ..

(موسيقى)

- سادو :** وها هي الأشجار تدعوك الى تناول ما تريد ..
- سانديانا :** ان الطبيعة هنا كريمة الى حد كبير .
- سادو :** يكفى أن تمد يدك ، خذ هذه الثمرة من « المانجو » وهذه .
- سانديانا :** وأنت لماذا لا تأكل ؟
- سادو :** ان الوقت أمامى متسع .
- سانديانا :** عن أى شىء تبحث ؟
- سادو :** عن الأشجار التى ستعطينا « شمع النحل »
- سانديانا :** تقصد أشجار « الباباز » ؟
- سادو :** نعم .
- سانديانا :** هأنذا أرى بعضها .
- سادو :** أين ؟
- سانديانا :** ها هي الى جانبك تماما .
- سادو :** هذا صحيح والآن أنزل السلة .

- سانديانا :** هأنذا أفعل .
- سادو :** أوقد النار فى الحشب .
- سانديانا :** ها هى تشتعل .
- سادو :** والآن قربها من تجاويف كل شجرة . . ثم ابتعد .
- سانديانا :** ولماذا أبتعد ؟
- سادو :** لأن النحل سيندفع الى الخارج فى قوة .
- سانديانا :** لن أخاف من النحل .
- سادو :** أرجو ألا تندم على ثقتك بنفسك .
- سانديانا :** آه . . آه . .
- سادو :** ماذا حدث ؟
- سانديانا :** لقد هجم على النحل .
- سادو :** هأنذا ترى عاقبة عدم قبول النصيحة .
- سانديانا :** ليس الأمر صعبا . .
- سادو :** هل ترى شيئا . .
- سانديانا :** أرى أقراصا عدة . . اليك هذه الاقراص . .
- سادو :** انها من نوع جيد .
- سانديانا :** لقد كان القرص كذلك من نوع جيد .
- سادو :** والآن فلنسرع الى البيت .
- سانديانا :** وهل البيت بعيد حتى نسرع ؟
- سادو :** انى مشتاق الى عملى .
- سانديانا :** لعلك تقدم بهذا الشمع تلك النماذج التى طلبها منك بعض الرجال البيض . .
- سادو :** تقصد النماذج التى تمثلهم مع زوجاتهم ، وحيواناتهم وخدمهم؟
- سانديانا :** نعم .

سادو : لن أفعل •

سانديانا : ولكنهم عرضوا عليك مبلغا كبيرا من المال • مبلغا نحن فى حاجة اليه •

سادو : انى لن أقدم الا وطنى ••

سانديانا : لقد سمعتهم يقولون انك لا تقدم الا نماذج تمثل الرعاية والصيادين والحيوانات التى تحيط بنا ، وان الرجل فى تماثيلك شامخ أما المرأة فمجهدة تكاد تسقط من الاعياء •

سادو : وهل وطنى الا كل هؤلاء يا ولدى ؟

سانديانا : ولماذا لا تستخدم خامات أخرى غير الشمع كما يقولون ؟

سادو : ان الخامة كثيرا ما تحدد طبيعة التمثال _ فالفنان فى « بنين » بنيجيريا يستعمل البرونز وفى « بنويه » يستعمل الصفيح وفى الكونغو يستعمل الخشب والعاج والرغام أما وطنى فيقدم لى بسخاء هذه الخامة من شمع العسل • كما أنى أستخدم البلاستيك لأنه يعطينى رعشة الحركة وليونة الخطوط •

سانديانا : انك تمثل اليوم الانتفاضة الجديدة فى القارة •

سادو : يكفى فقط أنى أمثل حرية الفنان الجديد •

سانديانا : وماذا كان من شأن الفنان القديم ؟

سادو : لقد كان فى الماضى يخاف الأرواح الشريرة والشياطين ويتخرج من تقديم الملامح الانسانية ، أما الآن فهو يملك الحرية فى خلق ما يريد •

سانديانا : والآن ها هو البيت •

سادو : فلتسرع باستعمال الفرن •

سانديانا : انك فى شوق الى الخلق • لا بد أن الله كان فى أعماق أعماق السعادة وهو يخلق الحياة •

سادو : بلا شك • والآن أجعل خيط المنفاخ فى يدك والخيط الآخر فى الأصبع الكبير لقدمك اليمنى ، ثم حركه هكذا حتى تشتعل النار •

- سانديانا :** ها قد بدأت تشتعل •
- سادو :** والآن ماذا تريد من التماثيل يا ولدى •
- سانديانا :** لا شيء لا أطلب الا ما تمليه عليك حرية الفنان •
- سادو :** والآن اليك هذه النماذج من وطني •
- سانديانا :** مرحبا بوطني يصنع من جديد بيد والدي ...
- سادو :** شكرا يا ولدى ...

الدكتور وليم دوبا

ريتشارد : ماريان . . بول لماذا أنتما حزينان ؟

ماريان : ولماذا لانحزن ؟

بول : قل لي شيئاً واحداً يبتسم له فم الزنجرى . . شيئاً واحداً
يزحزح الدموع التى تملأ العين .

ريتشارد : أشياء كثيرة لعل من أهمها أنا نعيش .

ماريان : وهل نحن نعيش حقاً ؟

ريتشارد : وماذا نفعل إذن ؟

ماريان : نمثل نوعاً من الحياة فرض علينا .

بول : نمثل العبودية - نمثل الاستجابة لآراء البيض - نمثل

ماريان : بل نحن نبالغ فى هذه الاستجابة الى حد يدعو الى السخرية ،
فربما لا يكون مطلوباً منا الانحناء ، ولكننا ننحنى ، وربما
لا يكون مطلوباً منا الابتسام ، ولكننا نبتسم بل نبالغ فى كل
ما يطلب منا .

ريتشارد : ربما كان هذا صحيحاً ، ولكننا نفعل ذلك لنحصل على لقمة
العيش .

ماريان : ولكن ألا تحس بمرارتها كلما دخلت فمك ؟

ريتشارد : وماذا نفعل لنعيش ؟

بول : أن يكون لنا رأى ، أن نعيش مانريده من ألوان الحياة ، أن
يكون لنا تنظيم يحكم كل حياتنا .

ماريان : ان هذا هو ما نفتقر اليه .

بول : لقد اهتمت الى شيء من هذا في « الجمعية الدولية لرفاهية
الأسود » .

ماريان : تقصد الدعوة الجديدة التي يدعو اليها «ماكوس جارفى» .

بول : نعم فأنا من القائلين بأن الجنس الأسود يجب ألا يتفوق
الجنس الأبيض فقط ولكن على جميع البشر .

ريتشارد : ومن أجل هذا أقمت كنيسة لونتم فيها المسيح والملائكة
باللون الأسود .

ماريان : ولونتم الشيطان باللون الأبيض .

ريتشارد : ولكن هذا تفكير فاشى فمن هذا الذى يعطينا الوصاية على
العالم ؟

بول : أنا أعرف أنك من أنصار « بوكر واشنطن » الذى يدعو الى
أن نمد يدنا الى البيض .

ريتشارد : وأى شيء فى هذا ؟

بول : ولكنهم يقطعون فى كل يوم هذه الأيدي فى الحقول والمصانع
وفى الطريق العام ، أليس كذلك ياماريان ؟

ماريان : أما أنا فقد جربت طريقة 'ماركوس العنيفة وطريقة بوكر
المستسلمة ولم أجد فيهما مايرضى نفسى .

بول : وأى شيء يرضيك اذن ؟

ماريان : طريقة الرجل الذى ولد فى ولاية مـ ماشوست عام ١٨٦٨ .

ريتشارد : كأنك تتكلمين عن لغز ؟

ماريان : والذى تخرج من جامعة هارفارد ، وأصبح أستاذا للغات فى
جامعة اتلانتا وهو فى الثانية والعشرين من عمره .

بول : عرفت من تقصدين ؟

ماريان : والذى أعطى أهمية خاصة فى دراساته لافريقية وللزنج فى
أمريكا .

ريتشارد : انك تقصدين « وليم ديبوا » .

بول : وما الذى يفتنك فى دعوته ؟

ماريان : انه يدعو الى المساواة بين البشر ، وأن على الزوج فى أى مكان أن يربطوا قضاياهم بافريقية ، ثم انه يدعو الى « الجامعة الافريقية » عن طريق المؤتمرات •

بول : ولكنه لا ينادي بالعودة السريعة الى افريقية كما يفعل « ماركوس جارفى » •

ماريان : انه لابد للتمهيد لهذا بالعديد من المؤتمرات •• انى لا أنسى قوله •

ديبوا : •• لقد حارب الزوج الألمان فى عام ١٩١٩ ولكن الحلفاء تنكروا لحقوقهم وقد عقدنا العديد من المؤتمرات فى باريس ولندن ونيويورك ومانشستر ومع ذلك فلا زلت أعتقد أن هذه المؤتمرات هى قرع للطبول حتى تبقى فكرة الجامعة الافريقية قابلة للضياع •

ماريان : ما رأيكما فى هذه الكلمات •

بول : لقد فتحت لها قلبى ولم تعد بى رغبة للسيطرة على الأجناس الأخرى كما كان يدعو « ماركوس جارفى » •

ريتشارد : وأنا لا أحب الاستسلام الذى دعانا اليه « بوكر واشنطن » •

ماريان : لم يبق اذن الا طريق ديبوا •

بول : انه طريق الانسانية •

ريتشارد : وطريق السلام •

« موسيقى »

ريتشارد : ماريان •• بول •• لماذا أنتما حزينان

ماريان : ولماذا لا نحزن ؟

ريتشارد : لأنكما تزوجتما ؟

ماريان : لا تمزح يا بول فالموقف صعب •

ريتشارد : هذا غريب ، ان حزنكما يذكرنى بهذا الحزن القديم الذى ناقشناه فى يوم من الأيام فى هذا المكان من •• من

- بول :** هما يقرب من عشرين عاماً .
- ماريان :** أتذكر عن أى شيء كنا نتكلم ؟
- ريتشارد :** كنا نتكلم عن النظريات التى تحكم حياة الزوج فى أمريكا
- بول :** وإلى أى شيء توصلنا ؟
- ريتشارد :** لقد أخذنا بنظرية « ديبوا » الانسانية وها هو قد تركنا من فترة ليعيش فى غانا ، لقد قرأت أنه يشرف هناك على مشروع « دائرة المعارف الافريقية » ترى ما عمره الآن ؟
- ماريان :** انه فى شهر سبتمبر عام ١٩٦٣ يكون قد أوفى على الخامسة والتسعين .
- ريتشارد :** انه عمر مديد ونُصب بلا شك .
- ماريان :** ولكنه لن يضيف اليه قطرة جديدة من الزمن .
- ريتشارد :** تعنين أنه .
- بول :** توفى .
- ماريان :** عن المجد . . والدراسات الجادة . . وتأکید الدور الحضارى لافريقية .
- ريتشارد :** وحب الانسان لأخيه الانسان .
- ماريان :** لقد عاش يحلم بافريقية المتحررة ويفكر لها .
- بول :** وها هو يموت كما عاش فى هذا الحلم .
- ريتشارد :** نعم فقد تحررت افريقية وأصبح الزوج فى كل مكان يحصلون على مكاسب جديدة .
- ماريان :** وأصبحت الجامعة الافريقية بعد مؤتمر القمة بأديس أبابا شيئاً لا يصعب تحقيقه .
- ريتشارد :** والآن ألا ترون أنه يجب أن نبتمس لهذا الرجل بدلاً من البكاء عليه .
- ماريان :** ولكنه الفراقى يا ريتشارد .
- ريتشارد :** بل قولى انه الخلود .
- ماريان :** نعم فهو رجل حقق الغاية من وجوده ومن هنا يجب أن نبكى ونبتسم له فى آن واحد .
- بول :** نعم فديبوا لم تكن حياته الا دمة أعقبتها بسمة .

الدكتور جيمس اجراى

- هورن : جيمس .. أين أنت ؟
- جيمس : ...
- هورن : لماذا لا ترد على ..
- جيمس : ربما لأنى حزين .
- هورن : وهل يمنعك الحزن من أن تكلم الناس .
- جيمس : ربما . فالحزن يخرس اللسان أحيانا .
- هورن : ولكن لماذا أنت حزين ؟
- جيمس : ألا تعرف سبب حزنى .
- هورن : ان ما أعرفه لايسبب لك الحزن . وانما يسبب السعادة .
- جيمس : تقول للذى يتحطم قلبه انه سعيد .
- هورن : تقصد أنك ستترك قلبك عند « ناندى » أجمل فتاة فى قبيلة « الفانتى » بساحل الذهب .
- جيمس : ولكن « ناندى » لم تعد عندى الفتاة التى أحبها .
- هورن : وماذا تكون اذن ؟
- جيمس : انها كل القبيلة .
- هورن : وما الذى يشغلك عن القبيلة
- جيمس : كل انسان فيها . كل أغنية . كل رقصة . كل ذرة فى أرضها .
- هورن : لقد أصبحت تتكلم مثل والدك .. الذى أصبح لايفك عن تذكيرنا بأنه اول من توحدت القبيلة على يديه

جيمس : لقد التحمت هنا بالاشجار والمياه • والأرض ، حتى لقد أصبحت
أعتقد انى سأنفجر بالدم حين أتركها الى أرض أخرى فهى
امتداد لجسمى • بل هى جسمى •

هورن : فلتنس كل شىء ••

جيمس : ما الذى أنساه هنا •• ؟

هورن : كل شىء هنا ، فسنترك هنا !الجذب ، والجهل لنتقابل فى
أمريكا مع العلم والثراء • و ••

جيمس : وماذا •• ؟

هورن : الفتيات •

جيمس : ولكن كيف أنسى هنا انى كنت « الطفل المبارك » •

هورن : أعرف أنهم أخذوك من أمك وعمرك ثمانية أيام لتبارك جيش
القبيلة وأعرف أنك عشت هنا تلميذا ومدرسا • وناظرا أعرف
هذا وأعرف أن عمرك ثلاثة وعشرين عاما • ولكن لتستفيد من
العالم الجديد لابد أن ننسى العالم القديم •

جيمس : ان صوتك هذا يمزقنى • فلتكف •

هورن : أغضبت منى •

جيمس : لم يصبح عندى مكان للغضب • بل عندى مكان لأن أقبلك •
فقد حان الرحيل • هاهم ينادون على

موسيقى

جيمس : فى أى يوم نحن ياروز هدى •

روز : نحن فى ٣٠ من يوليو عام ١٩٢٧ •

جيمس : واين ولدنا الصغير اوريسون •

روز : فى الحجرة المقابلة يذاكر دروسه •

جيمس : حبيبتي روز •

روز : هل تشكو من شىء يا جيمس •

جيمس : لاشىء الا أنى كنت أحب أن أكون فى هذا اليوم فى وطنى •

- روز :** ولكن مستقبلك هنا يا جيمس .
- جيمس :** أى مستقبل بقى لى . لقد قضيت عشرين عاما بعد أن تركت بلادى ثم عدت اليها .
- روز :** وتوليت شئون جامعة « اخيموتا » فى غانا وحققت طريقتك فى التربية .
- جيمس :** نعم . فقد أعدت للصناعة اليدوية قيمتها فى التعليم ، ولكنى وجدت معارضة لهذا الاتجاه فى كل مكان . أتذكرين ما قاله عنى الدكتور « ديبوا » .
- روز :** لقد ذكر أن الاهتمام يجب أن ينصرف الى شكسبير وعلم النفس لا الى هذه المهارات اليدوية التى لن تزيد الشعب الا جهلا .
- جيمس :** ولكنى سعيد بتأكيد هذا الدور فى بلادى . . وأنا سعيد هنا فنيويورك لاتبخل علينا بشيء .
- ولكن أليس من الغريب أن السود هنا يتعصبون ضدى ، لأنى من أفريقية .
- روز :** اغفر لى يا جيمس .
- جيمس :** ولكنهم حالوا بينى وبين الوصول الى عمادة كلية ليفنجستون مرتين .
- روز :** أعرف هذا . وأعرف أنك تقول دائما ، لقد تلقيت الضرب من الجانبين .
- جيمس :** نعم فقد تلقيت هنا الضربات من البيض ومن السود معا .
- روز :** فلتغفر لهم .
- جيمس :** لقد غفرت لهم من زمن بعيد .
- روز :** لقد قلت كلمتك فى « التربية » فى افريقية ووقفت مع الرجل الأسود فى كل مكان ، ووصلت الى اقصى درجات المعركة ، ماذا ينقصك .
- جيمس :** ينقصنى الشيء الذى يأتى بعد اكمال .
- روز :** وما هذا الشيء .
- جيمس :** انه . انه الموت .

الملك نخاو

- حابى : اعمل مجدافك يا امينى .. شد عليه بقوة .
- امينى : هأنذا أفعل يا حابى .
- حابى : وهاهى أخيرا « صا الحجر » .
- امينى : صا الحجر .. أين صا الحجر ؟
- حابى : ولكنك تبكى .
- امينى : نعم .
- حابى : وماذا أعمل الآن ، هل أحرك المجداف فى البحر أو فى دموعك .
- امينى : فيما يصل بنا الى الشاطئ فى سرعة .
- حابى : وها هو الشاطئ قد لاح تماما .
- امينى : أين هو ؟
- حابى : جفف دموعك يا أخى أولا .
- امينى : لقد كتمتها ثلاثة أعوام منذ غادرنا قاعدة الاسطول فى البحر الاحمر أما الآن فكل شئ يزلزل أعماقى .
- حابى : كل شئ .. أم عروسك التى لم تتمتع بها أكثر من شهر ؟
- امينى : أنت تعرف أن الملك « نخاو » حينما دعانا الى الدوران حول افريقية لم نملك أن تستجيب له ..
- حابى : ان صوته مازال يتردد فى أذنى وهو يقول
- صوت : ايها البحارة المصريون .. ايها الفينيقيون الذين يسهمون معنا بخيراتهم لقد عدلت عن حفر قناة سيزوستريس .. حينما ذكر

الكهنة أنها ستحمل الأجانب الى البلاد ولكنى سأوجهكم لمعرفة
الطرق التجارية ولن أقنع الا بدورانكم حول افريقية لقد
وصلت سفن الى الشرق الافريقى اما سفنى فيجب أن تدور
حول افريقية •

أمينى : لقد حققنا أمنيته •

حابى : وبقي علينا أن نشاهد الفرع فى وجهه •

أمينى : ولكن الناس فى حداد •

حابى : وها هو ابنه اسماتيك الثانى •

أمينى : ان عليه شارة الملك •

حابى : لقد كنت أود تقبيل الضياء على جبينه •

أمينى : وها هى « نفرو » • ها هى زوجتى •

حابى : هنيئًا لك يامينى فستجد القلب الذى ستحدثه عن الرحلة أما
أنا فقد مات القلب الذى سيصغى الى •

أمينى : حابى • • أخى •

حابى : لاتشغل نفسك بى ، تقدم الى زوجتك ، هاهى تشق الطريق
الىك •

نفرو : أمينى زوجى •

أمينى : نفرو حبيبتى •

(موسيقى)

نفرو : والآن هل أفتح لك هذه النافذة •

أمينى : اذا أحببت •

نفرو : ان القمر سيطل منها •

أمينى : يكفينى وجهك •

نفرو : وستحمل لك أحلام الطيور •

أمينى : أنت حلمى •

- نفرو :** وشفافية النيل •
- أمينى :** انى أرى من خلالك العالم •
- نفرو :** والآن طف بى حول افريقية
- أمينى :** ليس قبل أن آخذ يديك فى يدي
- نفرو :** هاهما
- أمينى :** وأن تضيئى لى الطريق بنجمتين
- نفرو :** أية نجمتين ؟
- أمينى :** بعينيك •• نعم •• هكذا ••
- نفرو :** انك
- أمينى :** لا تتحدثى •• دعينى أتذكر ••
- نفرو :** تذكر كما تحب •
- أمينى :** لقد تركنا قاعدة الاسطول فى البحر الاحمر ائى الجنوب وكانت الشمس على يسارنا ومع أن كل سفينة كان لها خمسون مجدافا الا أنه كان يخيل الينا أنها تحمل خمسين جناحا
- نفرو :** ان حديثك يسمو الى مرتبة الشعر
- أمينى :** ثم وجدنا بعض المصاعب ونحن تغادر البحر الاحمر عن طريق باب المندب ثم غادرنا الصومال وظللنا فى المسير حتى وجدنا شيئا غريبا •
- أمينى :** نعم •• فقد وجدنا الشمس تغرب عن يميننا بعد أن كانت تغرب عن شمالنا •
- نفرو :** ان معنى هذا انكم تركتم شرق افريقية الى غربها ••
- أمينى :** وظللنا نسير حتى وصلنا الى المضيق الذى يفصل بين افريقية والغرب
- نفرو :** وماذا وجدتم هناك ؟
- أمينى :** وجدنا أسطولا فينيقيا ضخما •
- نفرو :** وهل اصطدمتم به ؟

أمينى : لقد تحرشوا بنا فى أول الأمر ... ولكن حكمة الملك نخاو ..
فى تزويد أسطولنا بالفينيقيين حملت لنا السلامة .

أمينى : ما أعظم هذا الملك ، لقد كان حكيما كذلك حين زودنا بكميات
من البذور

نفرو : وماذا كنتم تفعلون بها ؟

أمينى : كنا نترك السفن .. ثم نبذر الأرض وننتظر حتى تعطينا
غلتها وكنا نصطاد السمك وتبادل بعض السلع من الوطنيين .

نفرو : وهل اصطدمتم بالأهالى ؟

أمينى : لم يحدث هذا أبدا

نفرو : لقد كانت رحلة موفقة

أمينى :- المهم أننا حققنا أمنية الملك « نخاو »

نفرو : وحقت أمنيتى فى أن أراك ثانية

أمينى : وهأنذا فى بيتنا

نفرو : ويداي فى يديك

أمينى : والقمر يغرق حجرتنا بالنور .

نفرو : والنيل يغنى .. أغنية حب

(صوت يمامة)

أمينى : ها هو صوت يمامة تعشش فى الجدران

نفرو : وها هو صوت ناي من بعيد

أمينى : ان كل هذا يدعونا للقيام برحلة .

نفرو : فى البحر حول افريقية ؟

أمينى : بل .. فى الحب حول الحياة .

نفرو : أمينى زوجى .

أمينى : نفرو حبيبتي ..

حميد المرجبى

- حميد : صباح الخير يا أمى .
الأم : صباح الخير يا ولدى
حميد : ان صوتك مجهد .. هل انت مريضة ؟
الأم : ليس الذى بى هو المرض .
حميد : واى شىء يكون ؟
الأم : انه أشياء كثيرة .
حميد : ما عهدتك بهذا الحزن يا أمى .
الأم : ليس حزنى كما تتصور يا ولدى .
حميد : ما دام الامر كذلك . فانى ذاهب للكتاب .
الأم : ولكن .
حميد : ولكن ماذا ؟
الأم : أقول انه لا داعى لذهابك اليوم .
حميد : لقد كنت تشجعيننى دائما على الذهاب .
الأم : انى أريدك اليوم بجانبى
حميد : لا بأس .. والآن أين الافطار ؟
الأم : تقول الافطار ؟
حميد : نعم .
الأم : ان هذا ما جعلنى أمنعك من الذهاب الى « الكتاب » .

حميد : الآن فهمت سر حزنك .

الأم : فهمت ماذا ؟

حميد : فهمت أن بيتنا لم يعد فيه طعام، لم تعد فيه لقمة ، فقد صرفنا كل ما تركه أبى قبل رحيله للتجارة فى الداخل .

الأم : لا تبالغ فى الامر يا ولدى .

حميد : مهما يكن من شىء فقد تعلمت القراءة والكتابة . ثم انى حفظت القرآن كله فليحرسك الله .

الأم : فليحرسك الله .

حميد : ثم انى واحد من العرب الذين يفسدون الى الشرق الافريقى ثم ما يكادون يعملون فى التجارة حتى يصبحوا من الاثرياء .

الأم : أما نحن فقد تركنا والدك ولكنه لم يعد .

حميد : لقد سألت عليه كل التجار الذين يعودون من الداخل . . . وكلهم يؤكد أنه حى . . . ولكن لماذا لا يعود الى عشه ؟ . . .

حميد : لعله الطموح ، والرغبة فى جمع المال .

الأم : سأظل حزينة حتى أراه .

حميد : وماذا تفعلين اذا أحضرته اليك .

الأم : وماذا تملك من الوسائل لاحضاره يا حميد

حميد : أملك حبى لك وله .

الأم : وماذا يجدى هذا الحب .

حميد : يحضر لك الغائب ؟

الأم : تحضره بأية طريقة ؟

حميد : بالرحيل .

الأم : أخشى أن تعنى أنك ستتركنى .

حميد : بل أعنيه حقا .

الأم : قلبك من حجر مثل والدك تريد أن أفقدك أنت الآخر .

حميد : بل أريد أن أبعد عنا طائر العذاب الذي يشرب دمننا وينقر
عيوننا فنحن جميعا نتعذب .

الأم : لو كان يتعذب لحضر إلينا .

حميد : لن نحكم على غريب بهذه القسوة .

الأم : ولكنك حبة قلبى ونور عينى .

حميد : وانت العالم الذى أرتاح على صدره .

الأم : وهأنت تريد أن تتركنى .

حميد : بل أريد لك السعادة .. ثم ان قلب الابن ليس كقلب الزوج .

الأم : لقد عرفتك ذكيا وطموحا ولن أقف أمام طموحك .

حميد : شكرا يا أمى .

الأم : ولكن لا تنس أنى كنت أحس هذا فى عينيك وفى أحاديثك
عن التجار العرب .

حميد : وأنا كنت أرى فى عينيك الشوق الى أبى .

الأم : والآن ماذا أنت صانع ؟ .

حميد : لا شىء الا أنى سأقترض مبلغا من تجار زنجبار .. أعطيك
ما يوفر لك حياة كريمة ثم أشتري بالباقي ملحا وأوغل به
فى الداخل و ...

الأم : وتعود الى أمك .

حميد : ومعى والدى .

الأم : وتسهر على نفسك . ولا تقترب من معصية .

حميد : وأسهر على نفسى ولا أقترّب من معصية .

الأم : أقسم على هذا المصحف .

حميد : بل أقسم على صدرى لأن به قرآنا حيا .. قرآنا نابضا .

الأم : اذن ضع يدك على صدرك وأقسم .

حميد : أقسم أن أعود اليك ومعى والدى ومعى الشوق والحنان .

- الأم : فليشهد عليك الضحى ، ولتشهد الارض والسماء .
حميد : ولتشهد زنجبار .

« موسيقى »

- الوالد : السلام على السلطان حميد .
حميد : لست سلطانا في حضرتك .
الوالد : وماذا تكون اذن ؟
حميد : ولدك .. ولدك الذى عشر عليك متزوجا من ابنة سلطان «تبوزة» .
الوالد : وأنت ولدى الشجاع الذى حارب أعداء هذا السلطان واستوفى على ملكهم .
حميد : شكرا ياوالدى .
الوالد : ان مملكتك ياولدى أصبحت تمتد من الشرق الافريقى الى حوض نهر الكونغو ، وهذا ما يجعلك يقظا وحريصا على هذا الملك .
حميد : انى أحمى هذا الملك بذراعى .
الوالد : ولكن هناك من تسلل اليه .
حميد : تقصد البيض .
الوالد : نعم .
حميد : لقد قدمت العون الى « سبيك » ولفنجستون وستانلى لأنهم أظهروائى نوايا طيبة وهامو «سبيك»الآن يحصل على اتفاقيات من الحكام المحليين .
حميد : أعرف انه وفد من قبل ملك البلجيك ، وأعرف ان الانجليز من حولى ولكنى متيقظ لكل هذا .
الوالد : فليحفظ الله بلادك ياولدى .
حميد : والآن هل أستطيع أن أذكر شيئا .

الوالد : بلا شك .

حميد : ماذا تقول فى السيدة المقيمة فى رنجبار ، والتى فضلت المقام هناك .

الوالد : تقصد أمك التى جعلتها تعيش هناك كملكة .

حميد : ولكنها معزولة عن مملكتها مادمت أنت هنا .

الوالد : وماذا أفعل لها وأنا فى هذه السن .

حميد : تعطيها التاج .

الوالد : تقصد أن أذهب لأقيم معها . وماذا أفعل بأسرتى هنا .

حميد : تأخذها جميعا معك .

الوالد : ولكنها ستتغضب منى .

حميد : ما يغضبها هو عدم عودتك .

الوالد : ولكنك لن تعود .

حميد : لو كان ماتريده فى هذه الفترة هو الابن لترك مملكتى حفاظا على عهدى معها ولكنها تريد الآن الزوج .. تريدك .

الوالد : لقد حركت شوقى اليها .. مما يجعلنى أستأذنك فى الخروج .
حميد : الى أين ؟

الوالد : الى حيث استعد للرحيل .. حيث الوطن الأول ، والمحيط الذى قدمت منه ، والزوجة التى لاتزال تنتظر .

حميد : والآن لا تنس أن تقول لها انى حفظت نصف عهدى بعودتك اليها وقل لها .

الوالد : أقول ماذا ؟

حميد : قل لها أن تغفر لى مالم أستطع تنفيذه . وقل لها أن تذكرنى .

الوالد : سنقول يا ولدى أشياء كثيرة .. سنقول ما فاتنا .. وفى كل يوم سنرسل الى ملكك الأشواق مع الفجر والشروق .. ومع طيور المحيط التى تغادر الشاطئ فى الفجر اليك .

حميد : لكأنى أسمع هذه الطيور القادمة أبدا .

(موسيقى)

- حميد :** صباح الخير يا أمي .. صباح الخير يا أبي .
- الأم :** صباح الخير يا ولدي .
- الأب :** صباح الخير يا حميد .
- حميد :** هأنذا أخيرا بينكما بلا ملك .. مملكتي التي كانت تمتد من الشرق الى «كاساي» وكاتنجا» ضاعت .
- الأب :** لقد حاربت بضراوة البلجيكيين وحلفاءهم .
- حميد :** وماذا كانت النتيجة ؟
- الأب :** كانت المقاومة التي سيظل ذكرها في نفوس الافريقيين .
- حميد :** وأي فرق بينها وبين « الانسحاب » .
- الأب :** يا ولدي هزيمتك انتصار ، هزيمتك جذور ستعلو عليها في يوم ما « زهرة حمراء » . هي زهرة الحرية .
- الأم :** أما آن لهذه النبرة الحزينة أن تختفي من صوتك .
- حميد :** ان مما يزيد في هذه النبرة أن الاوربيين لن يقفوا عند حدود مملكتي وانما سيتجاوزونها الى افريقية الى كل افريقية .
- الأب :** ولكن افريقية ستكون لأبنائها .
- حميد :** نعم . ان افريقية ستكون لأبنائها يوما ما .
- الأم :** وسينذكرك المجاهدون وهم يخلصون بلادهم .
- حميد :** ولكن الذئاب تنهش الآن في القارة .. وفي قلبي .
- الأم :** يا ولدي .
- حميد :** اذا كنت يوما ما سأشعر بالسعادة هنا فلأنني وفيت لك بالشطر الثاني من العهد الذي قطعتة على نفسي .
- الأم :** ولدي .
- الأب :** ابني حميد .
- حميد :** ابي وامى وأسرتى .. شكرا لله .

عمر مكرم

- الشيخ حسن: لقد شرفت بيتى يا سيد عمر اليوم .. ولكن ..
- السيد عمر: ولكن ماذا .. ؟
- الشيخ حسن منذ متى قدمت الى القاهرة ..
- السيد عمر: منذ يومين ..
- الشيخ حسن لك يومان فى القاهرة .. ولا أراك الا اليوم ..
- السيد عمر: أنت تعرف اعزازى لأصدقائى .. ولكنها بعض مشاغل الحياة ..
- الشيخ حسن لعلك قادم هذه المرة للتعين فى الأزهر ..
- السيد عمر: .. للتعين فى الأزهر ..
- الشيخ حسن بلا شك .. فنحن نتخرج من الأزهر لنعلم بالأزهر .. هذا هو الطريق .
- السيد عمر: لقد اهتمدت الى طريقى .
- الشيخ حسن وهل سندرس للطلاب علوم الدين أو علوم اللغة .
- السيد عمر: لا هذا ولا ذاك .
- الشيخ حسن وماذا اذن .. ؟
- السيد عمر: انى أريد أن أعلم الشعب .. وأن أتعلم من الشعب ..
- فالأعمدة التى من حولى فى الأزهر تحجب عنى المصريين فى القرى .. فى المدن .. فى أى مكان يكونون فيه .
- الشيخ حسن لاتنس أن فى التدريس مرتبا .. وجراية .. ومركزا ..
- مركزا ، يا سيد عمر .

السيد عمر: ان صوتى أصبح لا يحسن الا مخاطبة الجماهير .. الا المعرفة الكاملة بالناس ، وقد اهديت الى هذا بعد أن رأيت أن الشعب فى حاجة .. الى حاكم مصرى .. الى قلب مصرى .. الى ذكاء مصرى .

الشيخ حسن حقا لقد فقدنا هذا بمرور السنين .

السيد عمر: بل قل .. انه موجود .. ولكن اليأس والخوف والقلق هم الذين يخفونه على الناس .

الشيخ حسن انك تحرك أشياء قديمة فى نفسى يا سيد عمر .. ولكن .. **السيد عمر:** ولكن ماذا ؟

الشيخ حسن لكأنى أرى هذا الشيء الذى تتكلم عنه الآن أمامى جليلا .. مهابا فى وجهه رسوخ مصر وأملها واصرارها على البقاء .

السيد عمر: لقد رأيت هذا الوجه فى البلاد أكثر من مرة .. رأيت فى الشيخ الدرديرى الذى دافع عن « القانون » فى البلاد .. حين اراد أحد الأمراء أن يحطم هذا القانون ويكسبه الى جانبه ، ضد واحد من أبناء الشعب .. ولكن العلماء وفى مقدمتهم الشيخ الدرديرى أعلنوا ان على القانون أن ينتصر فى البلاد .. ونجحوا فى أن يجعلوا كلمته هى العليا على الجميع .. على الأمير .. وعلى المواطن البسيط .

الشيخ حسن منذ عهد بعيد والشعب يحافظ على القانون ويحترمه .

السيد عمر: ان مصر كانت دائما فى صف العدالة

الشيخ حسن ان هذا يذكرنى بثورة أهل الحسينية .. أتذكرها ..

السيد عمر: نعم .. حين أراد الوالى القبض على جزار يسمى - .. أحمد سالم لأنه تأخر فى تسديد أموال الحكومة .. ولكن الشعب ذكر للوالى أن هناك قانونا مكتسبا فى مصر يؤكد منع القبض على مصرى فى مثل هذه الأحوال .. وأنت تعرف البقية .

الشيخ حسن أعرفها فقد أصروا على عزل الحاكم .. وعزلوه بالفعل .. لأن من يظلم مرة يظلم دائما .

السيد عمر: اعرف هذا .. واعرف هيبة العلماء .

الشيخ حسن ان هذا يذكرنى بمراد و ابراهيم .. وكيف انهما حين فرا
أمام القائد التركى حسن باشا .. أسرعا بالذهاب الى الشيخ
العروسى .. و

السيد عمر: والشيخ الدرديرى . وقد بكيا بالفعل أمامهما .. طالبين
بهذا منهما اقرار الهدوء فى الشعب .

الشيخ حسن ان المشايخ لم يكونوا ضد ظلم الأمراء فقط .. وانما كانوا
ضد كل من يظلم الشعب .. ومن هنا .. كانت مواقفهم
دائما مع الشعب .

السيد عمر: نعم .. فنحن لا ننسى أن القائد التركى حسن باشا حين
دخل البلاد وجد معارضة كبيرة من المشايخ .. وتذلفا
وانصياعا من الامراء .. وحين عرض القائد استجلاب جنود
أتراك لاقرار الأمن فى مصر .. وافق الامراء ولكن صوت
الشيخ العروسى انطلق يقول :

صوت عميق: « والأولى استجلاب خواطر الجند المصريين بالاحسان اليهم ..
والذى تعطونه .. للأغراب اعطوه لأهل بلدكم » .

الشيخ حسن وقد وفق الشيخ العروسى فيما طلب ، ونزل الجميع على
رأيه .

السيد عمر: ولعلك تذكر تهكم الشيخ العروسى حين القى على المشايخ
فى الديوان خطابا بالتركية فإذا به يقول :

صوت عميق: اخبرونا عن حاصل هذا الكلام فاننا لا نعرف التركية .

الشيخ حسن وحين أخبروه عن حاصل ما قيل أجاب .

صوت عميق: ان تركيا بقدمها الى مصر أعادت النزاع الى الامراء لأن
كل واحد منهم يطمع فى العودة الى الحكم والذى يهمنى هنا
ليس هذا الأمر أو ذاك وإنما الشعب .. حال الشعب ..
الشعب نفسه .

السيد عمر: لكأن مصر هى التى كانت تتحدث من شفتيه .

الشيخ حسن مادمتم قد وصلت الى هذا الحد يا سيد عمر .. ففى نفسى
سؤال ولكنى متردد من فترة فى توجيهه اليك .

السيد عمر: تكلم فالصراحة من الأشياء التى تعشقها نفسى .

الشيخ حسن ان كثيرا من المشايخ هنا فى القاهرة يتحدثون عن علاقاتك
بالأميرين مراد وإبراهيم بعد أن فرا أمام القناصل التركى الى
الصعيد .. ترى ما الذى ربط بينك وبينهما .. ؟

السيد عمر: حب مصر .

الشيخ حسن ان ماتعتقده حبا لمصر يعتقدده الآخرون خيانة لمصر .

السيد عمر: ومن هؤلاء الآخرون ؟ .

الشيخ حسن انت لا شك تعرفهم فهم الطائفة الذين يصفون عليك لقب شيخ
واذا جاء ذكرك لقبوك بالسيد واذا رضوا بعض الشئ قالوا
السيد عمر افندى .

السيد عمر: ان هؤلاء لن يمنعونى من أن أقول لك .. انى قدمت من أجل
إبراهيم ومراد - ومن أجل عودتهما للحكم والمفاوضة بشأنهما
مع المسئولين فى القاهرة .

الشيخ حسن من أجل عودتهما ثانية .. هذا كثير .. هذا كثير يا سيد
عمر .

السيد عمر: ولا اكتمك أنى وفقت فى الموضوع الذى قدمت اليه ، وهذا
هو السر فى انى لم أحضر الى بيتك مباشرة .

الشيخ حسن وما رأى الأتراك ومن يعتد بهم من المشايخ ؟

السيد عمر: راضون كل الرضا .

الشيخ حسن ان كل شئ فى هذا الزمان قد تغير ، ترى ماذا كانت حجتك
لابراهيم ومراد ؟

السيد عمر: انها حجة واضحة وهى أن الحكم القائم لا يقل بل ربما زاد فى
قسوته عن حكم إبراهيم ومراد .

الشيخ حسن وهل يبرر هذا عودتهما الى الحكم .. ؟

السيد عمر: لقد أعطيانى عهدا باقامة العدل فى البلاد .

الشيخ حسن وهل تثق فى « الكلمة » الى هذا الحد .. ؟

السيد عمر: بلا شك .. فان نقضوا كلمتهم نقض الشعب كلمته ..
فالشعب عندنا ذكى .

الشيخ حسن انى أخشى عليك من الشعب نفسه يا عمر .. فليس معنى
نجاحك فى عودتهما أنك حققت كسبا سياسيا سريعا ..
ولكن معناه زيادة مسئولياتك أمام الشعب .

السيد عمر: انى لن أهرب من هذه المسئولية بل .. أعتز بها .. انى
أحرك الشعب بهذه المسئولية الجديدة .. وأدفعه دفعا الى
مواجهة مصيره .

الشيخ حسن انى أخشى عليك .

السيد عمر: انى أحرك الشعب بهذه المسئولية .

(موسيقى)

الشيخ حسن سلام الله عليك يا عمر .

السيد عمر: وعليك السلام يا شيخ حسن .

الشيخ حسن ان زحمة الحياة جعلتنا لانتقابل الا قليلا فى هذه السنوات
الأخيرة ولكن لماذا لا تجلس ؟ انى أراك على شىء من القلق .

السيد عمر: ان القلق يأكل كل شىء فى هذه البلاد فالشعب قلق على
مصيره من الأمراء .. والأمراء قلقون على مصيرهم من الشعب
والعلماء حائرون بين كل من الطائفتين .

الشيخ حسن ولكنك قد اخترت طريقك .

السيد عمر: أى طريق .. ؟

الشيخ حسن طريق الأمراء .. طريق ابراهيم ومراد .

السيد عمر: أنت تظلمنى .

الشيخ حسن الحقائق تؤكد هذا .. فما كادا يعودان الى الحكم حتى ولياك
منصب « نقيب الأشراف » .. بعد عودتهما بثلاث سنوات ..
ان عام ١٧٩٣ عليك لالك .

السيد عمر: أنت لا تعرف ما صممت عليه .

الشيخ حسن لقد حاولت الاصلاح يا سيد عمر .. حاولت تقريب وجهات
النظر .. ولكن المسألة تحتاج الى استئصال الظلم .. الى أن
يتولى حكم مصر مصريون مصريون عليهم غبار القرى وسهد

المدينة .. مصريون امتلأت عيونهم من مشاهد الفقر والذل
.. مصريون اذا تولوا الحكم ظلت عيونهم مفتوحة على كل شيء
فى مصر .. أما أميرك يا عمر فأعينهما .. منطفئة .. أعينهما
لا ترى شيئاً .

السيد عمر: لقد أدركت هذا أخيراً .. أدركته فى ظلم مراد وعنفيه ..
وحبه للبطش .. أدركته فى انهيار ابراهيم وجبنه .. وفى خوفه
كذلك .

الشيخ حسن لعله الخوف من زوجته كما يقولون .

السيد عمر: انك تلمح الى الصفعة التى تلقاها منها أمام الكثيرين حين
رأته فى موقف مخجل .

الشيخ حسن ولكن هذه السيدة الرقيقة لا تؤدب يا سيد عمر .. انه وغيره
من الأمراء فى حاجة الى يد كبيرة ضـخمة مشققة هى يد
الشعب .

السيد عمر: لقد تأكد لى هذا أخيراً .. فبعد أن اشتركت فى كتابة
الوثيقة السياسية التى تحفظ للشعب حقوقه عام ١٧٩٥
ورأيت أنهما وغيرهما من الأمراء لا يعملون بها .. حين
أدركت هذا رأيت أن لا بد لى من تعديل الخطة .

الشيخ حسن ما أهم البنود التى تعرضت لها هذه الوثيقة .

السيد عمر: آه .. يا شيخ حسن .. انك تذكرنى بيوم قراءتها بصحن
الجامع الازهر وسط الألوف المحتشدة من أبناء الشعب .

(جماهير)

السيد عمر: لقد كتبنا فيها أن على الأمراء ألا يوقفوا المظالم فقط .. وانما
عليهم أن يتوبوا خالص التوبة عن سابق ظلمهم الشعب .

(هتاف الجماهير)

الشيخ حسن هذا كلام طيب .

السيد عمر: وان عليهم أن يأخذوا أنفسهم بالعدل وعليهم أن يحترموا
القانون والحقوق المكتسبة للشعب .

(هتاف الجماهير)

الشيخ حسن: وماذا ؟

السيد عمر: وأن يصرفوا الأموال الى مستحقيها ويرفعوا الضرائب المتوالية
ويرسلوا بغلة الحرمين اليهما وألا يتركوا مماليتهم وخدمهم
للعبيث بالشعب وأمواله .

(هتاف جماهير)

الشيخ حسن: ثم ماذا يا سيد عمر . . ؟

السيد عمر: لاشيء الا أنهم نكثوا العهود . . نكثوا العهد الذي قدمه
الأميران ابراهيم ومراد حينما كانا طريدين ، ونكثوا العهد
الذي قدم بعد ذلك للشعب بمقتضى الوثيقة السياسية التي
اشتركت في كتابتها وبقي أن يحدث شيء .

الشيخ حسن: أى شيء . . ؟

السيد عمر: شيء كبير . . فالعفن قد ملأ البلاد ولا بد من هزة عنيفة
يستيقظ عليها الشعب . . هزة تحركه ثم تجمعه حول موقف
ومن خلال عملية التجمع هذه ستولد مصر الجديدة .

الشيخ حسن: فما أشوقنى الى مصر . . الجديدة .

السيد عمر: لكأنى أراها بعينى . .

(موسيقى)

حسين : ان الأمور لا بد لها من حل فى هذا البلد .

جابر : فى أية جبهة نحارب . . اننا نحارب فى البلاد الجهل والمرض
والفقر والمماليك . . نعم .

حسين : واذا بأعداء آخرين من الخارج يوجهون حقدهم الى الشعب
ان مصر الآن محاصرة تماما .

جابر : لقد طال الليل فى مصر .

حسين : لا تياس لكل ليل فجر .

جابر : فجر .. هذا كلام شعراء وأين هو هذا الفجر والفرنسيون
نزلوا غرب الاسكندرية .. استيقظ يا أخى فنحن فى يوليو
عام ١٧٩٨ •

حسين : أعرف ذلك وأعرف أن قائدهم المسمى بونابرت قد هزم
جيش مراد بالقرب من شبراخيت •

جابر : مراد الأحق الذى كان يردد •

صوت : سأحطم هؤلاء الفرنجة تحت سنابك خيلى •

جابر : ان الذى تحطم هى مصر •

حسين : بل ان مصر باقية لقد مر عليها ما هو أشد من هذا ولكنها
كانت دائما تبقى كانت مصر تبقى دائما يا حسين •

جابر : وأين الذين تبقى مصر على أيديهم .. أين هم ؟ أنا لا أرى أحدا
منهم لا أرى الا الفرنسيين يتغلغلون فى قلب مصر .. فى
قلبى •

حسين : كأنك نسيت نفسك يا جابر .. ألسنت ترانا نتوجه معا الى
حيث الزعيم .. عمر مكرم •

جابر : لقد هزمنا جميعا .. هزمنا .. أنا لا أخفى عليك انى كنت
ذاهلا وأنا أسير فى ظل « البيرق النبوى » الذى نشره عمر
مكرم ، لقد انضم اليه الآلاف وهو يخفق من القلعة الى بولاق
.. آلاف من الناس يتسلحون بالعصى والنبابيت وذكر الله
.. وبحكمة المشايخ الذين كان فى مقدمتهم جميعا « عمر
مكرم » •

حسين : أكمل يا جابر .. تكلم حتى تهدأ نفسك .. تكلم يا ولدى •

جابر : لقد وقفنا جميعا دون نظام على الشاطئ الشرقى للنيل
بالقرب من جيش ابراهيم وفى مواجهة جيش مراد فى الجانب
الغربى ثم ظهر الجيش الفرنسى ومع أن الفرنسيين كانوا
مسلحين بأسلحة غريبة علينا الا أن جيش مراد ثبت فى أول
الأمر حتى لقد بلغت بأفراده الجرأة .. أنهم كانوا يلقون
بأنفسهم فى فوهات المدافع وعلى أسنة الحراب ، ولكن كل
هذا قد انتهى فى ساعات فالجيش قد تمزق .. ومراد فر الى
الجنوب •

حسين : كان يقصد الجيزة •

جابر : نعم •• وكم كان قاسيا على الشعب حين وجد ابراهيم ••
يهرب من المعركة فى نذالة وهكذا وجد الشعب نفسه بدون
جيش •• وبدون قيادة •

حسين : والآن ماذا نفعل •• ؟

جابر : نحن ضائعون فى بلادنا ••

حسين : بل نحن فى فترة تفكير الآن ••

جابر : لقد كان لنا من قبل عدو واحد يتمثل فى المماليك والأتراك ،
أما الآن فالفرنسيون أعداؤنا كذلك ••

حسين : انهم يدعون انهم أصدقاء لنا •• وأنهم قدموا لنجدتنا من
الظلم ••

جابر : كاذب من يدعى صداقة الشعب وهو يخوض فى دمهائه ••

حسين : هذا هو المنشور الذى يدعى فيه صداقتنا فلنر ما فيه
ثانية •

صوت : « يا أهل مصر •• قد قيل لكم اننى ما نزلت بهذا الطرف الا
بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا
للمفتريين اننى ما قدمت اليكم الا لاخلص حقوقكم من ايدى
الظالمين ، واننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى
وأحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس
متساوون عند الله وان الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو
العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك والعقل والفضائل
تضارب » •

جابر : كذابون منافقون ••

حسين : ان ما يطمئن بعض الشئ أن مشايخ الازهر يدافعون عن
البلاد ••

جابر : يدافعون بأى شئ •• ان حرب الكلمة لا يجدى والآن •• انهم
سيستفادون على التسليم فقد اجتمعوا غداة معركة الأهرام
واسستقر رأيهم على أن يكتبوا الى بوناپرت للاستفهام عن

قصده ، ترى ماذا يقصد بونابرت غير الحراب ، بونابرت انه
« بونا تراب » كما يسميه العامة ..

حسين : لقد قيل ان بونابرت سر لمقدمهم ..

جابر : ولما لا يسر .. ؟

حسين : تذكر أن وراء الأكمة ما وراءها وأن كل حرب يعقبها « مؤتمر
صلح » وأن جميع المصريين ليسوا أقل منك حماسة لتحرير
بلادهم .. ولكن للدول محن تنزل بها كما تنزل بالانسان ..
فقط علينا أن ننتظر ..

جابر : ان الانتظار هو الموت ..

حسين : فلننتظر على الاقل المشايخ الذين ذهبوا لمقابلة بونابرت ..

جابر : من ذهب منهم .. ؟

حسين : الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى وكثيرون ..

جابر : ولكن كثيرين لم يذهبوا ..

حسين : الذين تسمع كلمتهم فى البلاد ذهبوا ..

جابر : قد نسيت أن السيد عمر مكرم لم يذهب .. وانا سائران الى

منزله لنعرف رأيه فى الحوادث الأخيرة ..

لا أدري لماذا ارتحت الآن .. فمعنى أنه لم يذهب الى نابليون
أن قلب مصر ما زال يخفق .. ان هناك شيئاً مستعصياً على
فرنسا ..

حسين : تذكر دائماً أن مصر تتغلب على محنها وأن الله يحفظها دائماً من

كل الشرور هيا نذهب اليه .

(موسيقى)

جابر : هذا هو البيت .. فلنسأل هذا الرجل الواقف على بابه ..

جابر : أين السيد عمر مكرم ؟

الرجل : لا أخفى عليكما .. انه أعلن انه لن يبقى فى ظل الاحتلال وانه
سيهاجر الى سورية .. لقد خرج منذ ساعات قليلة ..

جابر : حتى أنت يا سيد عمر .. لقد فقدت كل شيء .. فقدت في هذه الحرب ابني وزوجتي ومنزلي وهأنا أفقدك الآن .. أفقدك !!

حسين : تذكر أن مصر باقية لك ..

جابر : لقد كان مصر .. لقد كان مصر ..

(موسيقى)

المحروقي : مالي أراك صامتا يا سيد عمر ..

الشيخ : اني ألاحظ عليه هذا الصمت كثيرا منذ قدم الى القاهرة وقد **الجوهري :** كنت أتحدث في هذا منذ دقائق مع نصوح باشا ..

نصوح باشا : حقا ان افكارنا تتقابل دائما عند أفكار واحدة في هذه البلاد ..

السيد عمر: اني أفكر في الحال الذي آلت اليه مصر وأفكر في جيراننا العرب وأفكر في تأخرنا عن ركب الحضارة ..

المحروقي : ان مصر بخير والحمد لله ..

الشيخ : تقصد جوهري مصر ..

نصوح باشا : وكيف تفسر الضربات السريعة التي حلت بمصر على أيدي الفرنسيين وهذا العلم الجديد الذي يطلع علينا به علماء الحملة؟ ما السر في التقدم العلمي عند الفرنسيين ولماذا لم تكن مثلهم ؟

السيد عمر: لأن بلادك كانت مملوءة بالدخلاء .. بالمماليك .. بالعثمانيين .. ولقد كان كل هؤلاء لا يحسون بالولاء للبلاد ..

المحروقي : وما السر الذي يعوق سورية ؟..

السيد عمر: انه نفس السر الذي يوجد هنا .. فأنت تعرف أن الاتراك هناك كذلك لقد عشت في يافا بعد دخول الفرنسيين فوجدت أن ما يعوق مصر عن التقدم هو الشيء الذي يعوق البلاد العربية الأخرى عن التقدم ..

الشيخ ولكن ما يؤلم حقا أن الفرنسيين قد استعملوا الوحشية في كل
الجوهري : مكان ذهبوا اليه .

نصوح
باشا : وماذا كان عدد المصريين في يافا ؟

السيد عمر : كان عددهم أربعمئة ٠٠ ولكن نابليون استثناهم من القتل ،
ومع أن نابليون قد استدعاني مع هؤلاء ال ٤٠٠ وعاتبنا في
رفق على خروجنا من مصر ، الا أنني كنت أحس بأرواح
الضحايا تقف بيني وبينه ٠٠

الشيخ
الجوهري : يقال انه عاملك معاملة حسنة ٠٠

السيد عمر : نعم فقد بش في وجهي وأمر باعداد سفينة ورأى أن نعود الى
دمياط .

نصوح
باشا : ولماذا لم تحضر الى القاهرة مباشرة ٠٠ ؟

السيد عمر : لقد رأى في حضوري مباشرة الى القاهرة ما يمكن أن يحرك
الجراح القديمة ٠٠

الشيخ ولكن هذا حدث فعلا فانك ما كدت تعود الى بيتك حتى توافد
الجوهري : الناس عليك وأخذت المقاومة تأخذ اشكالا عنيفة ٠٠

السيد ان المواطنين لم يهدءوا فقد وقعت مصائدات في مديرية
المحروقي : الشرقية حين أخذ الفرنسيون يعملون على مصادرة الماشية
بقري بردين والعصلوجي والغار والزنكلون .

الشيخ ثم ظهرت ثورة أمير الحج التي التف حولها أهالي الشرقية ٠٠
الجوهري : والدقهلية والقليوبية والغربية ٠٠ ثم امتدت الى كثير من
البلاد ٠٠

نصوح ولقد حركت تركيا هنا أشياء كثيرة ٠٠ فهزيمتنا في معركة
باشا : «أبو قيز» كان لها أثر سييء في نفوس المصريين لانا علقنا
بعض الآمال عليها ٠٠

السيد عمر: ان فرحة المصريين كانت غامرة حين علموا بنزوح نابليون عن مصر . . . وبتدهور الحال في فرنسا . ومع أن الحال لم يهدأ تماما في عهد كليبر الا أن كل هذا قد دفعنا إلى القيام بثورة مارس عام ١٨٠٠ . تلك الثورة التي لا يزال غبارها عالقا بثيابنا ونفوسنا . .

السيد المحروقي : لقد حملنا عبء هذه الثورة سبعة وثلاثين يوما ومع أنها قد انتهت بالهزيمة الا انها نجحت في تجميع قلوب المصريين .

السيد عمر: لقد تحول فيها المصريون الى جيش . . فأقاموا بأيديهم معملات للبارود في « الخرنفش » وتوصلوا الى صنع المدافع والأسلحة كما أقاموا في حي الحسين مصنعا حربيا ضخما . . بارك الله . . في شعبك يا مصر . .

نصوح : أشهد أن الشعب كان يتحرك تحت قيادة السيد عمر في حب وانفعال بالموقف فقد ذكر لهم أن على كل مصرى أن يقدم كل ما يستطيع أن يقدم . . المال . . الأبناء ، ولقد كان ياسيد عمر أشد المتحمسين لك « الحاج مصطفى البشتيلي » الذي أحرز مع أهالي حي بولاق نصرا مؤزرا . .

المحروقي : لقد بلغ الحماس بالناس حدا جعلهم باقمين على الشيخ الشرقاوي، والشيخ المهدي ، والشيخ الفيومي ، لأنهم توسطوا في الصلح مع الفرنسيين .

السيد عمر: لقد كان عندي أمل دائما في أن يصل جيش الترك ، من الشرق، أو جيش مراد من الجنوب ولكن كلا منهما تركنا وحدنا مع مدافع الفرنسيين وحقدهم علينا . .

الشيخ الجوهري : لقد سمعت أنه قد تم الاتفاق بين الفرنسيين والأتراك على ترحيل الأتراك الأسرى الموجودين في مصر . .

نصوح : لقد تمت للفرنسيين الغلبة علينا . .

المحروقي : ان المقاومة مستمرة . .

السيد عمر: ولكن المقاومة لن تنظم الآن .. فالفرنسيون يضعون أيديهم وأعينهم على كل شيء وقد تعودت الا أعيش الا في ظل الحرية .. ومن هنا لن أخفى عليكم أنى لن أبقى في مصر ما دامت على هذا الحال .. سأحرم نفسى منها حتى أستطيع أن أقدم لها شيئاً نافعاً .

المحروقى : انى معك .. لن أقبل الحياة في ظل الفرنسيين ..

نصوح : انكما تتركونا مع الهزيمة ..

السيد عمر: سنذهب الى تركيا لنحركها من أجل تحرير مصر .. فلا بد من مساندة للقضية من الخارج والآن فلأنف نفسى بنفسى .. وداعاً أيتها القاهرة وداعاً ..

(موسيقى)

السيد عمر: ان مهمتنا اليوم هى القضاء على خورشيد باشا .. ونزع الأمر من يده .. انه لن يسمع منا الا الصوت المرتفع .. لأن مصر هى التى تتكلم ..

الشيخ انك بعودتك حالياً - من تركيا تعود بالمقاومة من جديد ياسيد **الشهادات :** عمر ..

المحروقى : لقد تتبعنا فى الآستانة مقتل كليبر .. وعرفنا الظلم الذى وقع على البلاد من جراء الضرائب مما اضطر الناس الى ترك المدن .

السيد عمر: وتتبعنا نزول الانجليز على مقربة من الاسكندرية .. واحتكاك الجيش العثمانى بالفرنسيين وخروج الفرنسيين ثم كيف أصبح الجيش التركى يعيث فى البلاد فسادا الى جانب المماليك الذين لا تزال لهم أغراضهم فى الوثوب الى الحكم .. ومهما يكن من شيء فلا بد من وضع حد لهذه الأمور بالبلاد ..

المحروقى : انى ناظم على خورشيد .. أشد النعمة ..

الشرقاوى: أتعرف ماذا قال حينما أرسلنا اليه وفدا ليتفاوض معه فى النزول عن الولاية .

المحروقي : ماذا قال ؟

الشرقاوى : قال :

صوت : « لقد ولائى السلطان فلن يعزلنى الفلاحون »

السيد عمر: فلاحون .. هذا فخر بلا شك للمصريين ..

(دقات باب)

السيد عمر: ادخل

(فتح الباب - ثم خطوات)

خادم : يا سيد عمر ان خورشيد بك أرسل رسولا يسمى عمر بك

انه سيتحدث باسم خورشيد باشا ..

السيد عمر: فليدخل ..

عمر بك : سلام عليكم ..

الجميع :وعليكم السلام ..

عمر بك : لقد أرسلنى خورشيد باشا لأتكلّم باسمه فمن سيتكلّم باسم

مصر ...

الجميع :عمر مكرم .. عمر مكرم ..

عمر بك : كيف تثورون على من ولاه السلطان عليكم وقد قال تعالى :

« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

السيد عمر: « .. ألا فاعلم أن أولى الأمر .. هم العلماء وحملة الشريعة

والسلطان العادل .. وهذا الحاكم الذى أرسلكم ما هو الا

رجل ظالم خارج على قانون البلاد وشريعته فلقد كان لأهل

مصر دائما الحق فى أن يعزلوا الوالى اذا أساء ، ولم يرضوا عنه،

على أننى لا أذكر ما جرت عليه العادة منذ الأزمنة القديمة ..

بل أذكر أن السلطان أو الخليفة نفسه اذا سار فى الناس سيرة

الجور والظلم كان لهم عزله وخلعه .. »

عمر بك : « وكيف يجوز لكم حصارنا ومعاملتنا معاملة الخوارج

والكفرة ؟ »

عمر مكرم: « اننا نقاتلكم لأنكم عصاة .. وقد خرجتم على الحق وثرتم على القانون » .

عمر بك: « انك تعمل من أجل محمد على .. »

عمر مكرم: انه صديقي .. ونرجو للبلاد الخير على يديه ..

عمر مكرم: ان ما يراه أهل مصر لا بد أن ينفذ .. عليك .. وعلى خورشيد باشا وعلى السلطان نفسه ..

(موسيقى)

محمد على: لقد فعلت الواجب وأكثر يا سيد عمر ... فى الوقوف ضد الانجليز فى الوقت الذى كنت مشغولا فيه فى أسبوط بمحاربة المماليك ..

السيد عمر: ان الانجليز حينما نزلوا فجأة .. واستولوا على الاسكندرية وعلى رشيد رأيت الشعب كله يلتف حولي .. ويدعونى الى ضم الصفوف .. وقد حشدت لهم النفوس والأموال مما كان له أكبر الأثر فى هزيمتهم برشيد .

محمد على: والآن ماذا تريد يا سيد عمر ؟ ..

السيد عمر: أريد أن أعطيك العهد دائما بأن المصريين من حولك .. وأن المشايخ يلتفون بقلوبهم حول مصر ..

محمد على: ولكنى لست فى حاجة الى هذا ..

السيد عمر: ماذا تقول ؟ ..

محمد على: ان واجب النضال الآن سقط عنكم .. بعد أن صار للحكومة جيش ..

السيد عمر: ان معنى هذا ان تحكم الشعب وحدك ..

محمد على: وحدى .. ولا أحد معى ..

السيد عمر: ان معنى هذا أنك تعزل الشعب .. انك تنحيه عن أن يحكم نفسه ..

محمد على: وحدى .. ولا أحد معى ..

السيد عمر: « فى نفسه » لقد جربت الصراع مع الممالك ومع الفرنسيين
ومع الانجليز ومع الاتراك ولكنى لم أحس بالمرارة الا حينما
غررت بى ..

محمد على : لا تحدث نفسك يا سيد عمر فقد أصبحت مصر لى ..

السيد عمر: « فى نفسه » ان مصر لن تكون لأحد من غير أبنائها .

محمد على : لا تحدث نفسك فالواقع يؤكد وجودى ..

السيد عمر: التاريخ .. الشرف .. الوطن .. كل شىء فى هذا الوطن
ضدك .. انك تعزل الشعب اليوم .. ولكن الشعب سيعزلك
غدا .. سيعزلك حتى ولو تغلغلت بحكمك وذريتك فى الغد
.. فالغد فقط للشعب ..

محمد على : الآن عليك وعلى وفدك الانصراف ..

(أصوات خروج)

عمر مكرم: انى سأعزلك فى يوم قادم .. قد لا أرى هذا اليوم .. ولكنى
سأكون عزما فى اليد التى ستقوض حكمك من بعدك ..

(موسيقى)

محمد على : ان عمر مكرم أصبح خطرا على حكمى ..

ناصر باشا: ان الناس يتجهون اليه فى محنتهم .. فحين ثاروا على اهدارنا
للحرية الشخصية بالقبض على أحد العلماء ، ذهبوا اليه
وناقشوه فى هذا ، وقد أبى الحضور لمقابلتك اكثر من مرة ..
وأبى الامضاء على وثيقة الصرف التى ترفع للسلطان ..

محمد على : وماذا كان رده حين طلبته اليوم لمقابلتى فى الديوان ؟

ناصر باشا: قال :

صوت : « ان الباشا اذا أراد مقابلتى فينزل من القلعة لمقابلتى فى بيت
السادات » .

محمد علي : أعلن أنني خلعت عنه رئاسة نقابة الأشراف الى الشيخ
السادات ..

ناصر باشا: هذا شيء يستحقه .

محمد علي : وأمر بنفيه الى دمياط .. أتعرف معنى نفيه الى دمياط ..

ناصر باشا: معناه أن نتخلص من منافسك ..

محمد علي : معناه أن أحكم حكما مطلقا .. فوجهه هنا يذكرني بالشعب .
وصوته يذكرني بالناس .

ناصر باشا: لكأنني أراه الآن في منفاه .. محزوننا شقيا .. وأنه حين يعود
ثانية الى القاهرة يكون قد فقد تأثيره على الناس .

محمد علي : ان أخشى ما أخشاه امتداده الى جيل قادم .. جيل يثار من
أحد أبنائي .. ان رأسي يدور ..

صوت « اني سأعزلك في يوم قادم .. قد لا أرى هذا اليوم ولكني
عمر مكرم : سأكون عزما في اليد التي ستقوض حكمك » .

محمد علي : أوقفوا هذا الصوت ..

صوت التاريخ .. الشرف .. الوطن .. كل شيء في هذا الوطن
عمر مكرم : ضدك .. انك تعزل الشعب اليوم .. ولكن الشعب سيعزلك
في واحد من أبنائك غدا .. الشعب .. الشعب ..

رابع فضل الله

- ١ -

الراوي : (في القرن التاسع عشر • لم تقع افريقية غنيمة باردة في أيدي المستعمرين فكل جزء وقع منها كان من حوله الشهداء والدماء • ولقد كان في مقدمة هؤلاء الشهداء رابع فضل الله الذي وقف في صلابة أمام الأجانب في السودان ، وفي بطولة امام الفرنسيين في امبراطوريته الكبيرة التي كانت تتكون من وداي وبرنو وكانم وملحقاتها ، والتي تشكل الآن جمهورية تشاد • وأجزاء من شمال الكمرون • وشمال شرق نيجيريا وجنوب غرب النيجر •

وكان رابع في حياته بل في موته ضمير القارة الذي ينبض دائما • والذي يؤكد أن القارة ستنهض وستنتصر •• ان تاريخ رابع فضل الله جزء من تاريخ الصراع في افريقية فلننصت الى هذا التاريخ ••)

(صوت خطوات متتابعة)

فضل الله : صباح الخير يا ولدي رابع ••

رابع : صباح النور يا أبي •••

فضل الله : أراك قد غيرت عادتك ••

رابع : أية عادة يا أبي ••؟

فضل الله : كأنك تنسى يا رابع أنك في كل يوم كنت تحضر الى حجرتي •• ثم تقرأ على السلام •

رابع : هذا حق يا والدي • ولكنني لم أغادر الدار بعد •• ثم اني ••

فضل الله : ثم ماذا ؟

رابح : لا شيء .. لا شيء ..

فضل الله : لا شيء . أتكون غير راغب اليوم فى الذهاب الى حلفاية الملوك .

رابح : هو ما تقول يا والدى .. فلم أعد بالحاجة الى الذهاب هناك .

فضل الله : أياكون الفقيه الهاشمى قد أغضبك .. انه يشنى عليك دائما .

رابح : لقد أضاء فى قلبى النور .. وها هى حياتى قد أصبحت ممتلئة به .

**فضل الله : ان نور القرآن يا ولدى يتجدد دائما . وهو من العمق والشفافية بحيث يحس الانسان ان هذا النور متجدد دائما .
فالنور فيه يولد نورا وهكذا .**

رابح : ولكن . الفقيه الهاشمى أعطانى ماعنده . كل ما عنده ولم يعد عنده شيء لم أصل بعد الى أعماقه .

فضل الله : وماذا عن الحساب والاملاء والخط .

رابح : لقد أحصيت الشيء الكثير على يد زملائك فى الجيش المصرى .

فضل الله : حقا ، يا ولدى ، فمنذ انتقلنا من جبل ادريس الى الخرطوم وهم يتعهدونك .

رابح : انى لا أنسى فضلهم فى تعليمى .. وبخاصة حسن أفندى الذى ما يكاد يرانى حتى يمسح على رأسى ثم يردد :

« رابح يا ولدى ... لا أدري لماذا كلما جلست الى تذكرت ولدى ابراهيم فى قرىتى بمصر . فهو مثلك فى الطول وفى السن وفى هذه الكبرياء التى تظلل جبينك فاذا رغبت عن درس الحساب فى يوم من الأيام فلا تنس أن تحضر لكى أراك .

فضل الله : وهأنت قد عملت بالوصية .. ما زلت فى البيت الى الآن برغم أنا قاربنا على الظهيرة ..

رابح : انك غاضب منى اليوم يا أبى ..

فضل الله : ليس ما بى هو الغضب ولكنه الخوف على مستقبلك .

رابع : لقد علمتني ألا أخاف • فلم يداخلك اليوم الخوف على •

فضل الله : ليس هو الخوف عليك فقط يا ولدي ••• ولكنه الخوف على الماضي الذي ورثناه على قاماتنا المشدودة في مملكة سنار • على زهو قبيلة الهمق التلى نرجع بأنسابنا اليها أتعرف هذه القبيلة يا ولدي •• ؟

رابع : أعرف أن الأمور قد آلت اليها في سنار بعد ضعف ملوك الفونج ، وأن رجالها كانوا يحبون العلم ، ويكرمون العلماء •

فضل الله : وهأنت يا ولدي تؤمن على ميراث هذه القبيلة • وأملى ألا تكون نقطة ظلام في تاريخها الطويل ، فستظل هذه الأسرة تتنفس منك ما دمت ستجد المعرفة أما اذا فقدت المصباح فسيضل الطريق كل من يأتي بعدك •

رابع : أرجو أن تطمئن بالا يا والدي ••

فضل الله : اذن • فهيء • نفسك لتلقى الدرس اليوم من «حسن افندي» ولكن لقد اشتدت الحرارة في الخارج ، فعليك باستعادة دروسك والتوجه في الغد الى الحكمدارية لمقابلة حسن افندي ، وتلقى الدرس الذي فاتك •

رابع : لم يفتني شيء •

فضل الله : وكيف هذا ، يبدو انك ستغدو أضحوكة من « سلامة الباشا » في الخرطوم ••

رابع : صدقني يا والدي اذ لم يعد عند حسن افندي شيء جديد يعطيه اياي ••

فضل الله : الله •• الله • لقد ركبك الغرور يا رابع ••

رابع : ولكنها الحقيقة •• فما ينقصني هو الخبرة ، هو المجازفة ، هو أن أنفض التراب الذي يتراكم على أيامي هنا •

فضل الله : التراب •• لكأنك ضقت ببقائك في بيتي ••

رابع : بل لقد ضاقت على نفسي •• فأنا أريد تغيير حياتي •• أريد أن أقوم بشيء عظيم شيء ربما كنت لا أحسن التعبير عنه ، ولكنني أحسه يزلزل أعماقي يشدني بعيدا بعيدا ••

فصل الله : اذن فقد وطنت نفسك على مفارقة أبيك • وترك أمك وأخوتك
وبيتك ••

(تدخل الأم باكية)

الأم : ماذا تقول يا رابع •• كيف تقوى على التفوه بما قلت • لقد
استمعت الى حديثكما من الحجرة المقابلة فلم أعره التفاتا ،
ولكن شيئا من الخوف اعترانى ، فوجدتني على باب هذه
الحجرة ، واذا بى أسمع ••

فصل الله : تسمعين عزمه على الرحيل ••

رابع : لقد كنت أنت الذى حرضتني على هذا ، أنت الذى حدثتني
طوال عمري عن سنار ، وعن الفونج وعن الهمق ، وعن المجد
وعن العلم •

الأم : ولكنه لم يحدثك عن فراقك لنا ••

رابع : ان كل هذا معناه الفراق •• معناه الاقتحام •• معناه المظاهرة

الأم : ليته صمت •• ليته لم يتكلم أبدا ••

فصل الله : بل انى مسرور بكل كلمة قلتها لك فى أعوامك التى قاربت
العشرين فهذا الموقف هو ثمرة كل ما قلت ••

الأم : أوه •• ما أمر طعم هذه الثمرة ••

فصل الله : ستحلو الثمرة بعد ذلك فى فمك يا أم رابع •• على أن تتركها
ملكا للشجرة تفعل بها ما تشاء ••

الأم : ولكن ما نصيب الأم فى كل هذا •• لاشك أنه السهر ••
والقلق •• والتمزق •

رابع : لا تبك يا أمى •• انى سأعدل عن السفر ما لم تباركى كل
خطوة سأخطوها الى الجنوب •

فصل الله : لا تضعف يا رابع • تذكر سنار الهمق والمجد •

رابع : انى فقط أريد من حنان أمى ألا يقف ضدى ••

الأم : ان الحنان لا يكون أبدا ضد أى شىء • ان حنانى معك ••

فصل الله : اتفقنا .. فلنعد العدة لرحيله ..

الأم : ما دام هذا يرضيك يا رابع فسيرضينى ..

رابع : عشت لى يا أماه ..

الأم : ومتى الرحيل يا رابع ؟

رابع : بعد أسبوع ..

الأم : ليت الزمن لا يتحرك .. ليت الزمن لا يتحرك ..

- ٢ -

الراوي : (مع الدموع ودع رابع مدينة الخرطوم . ومع أنه أحس أن شيئاً يتنفس فى نفسه . أن شيئاً يخضر فى حياته الجافة ، إلا أنه شعر بالألم الحقيقى ، حينما ترك وراءه أمه .. أباه .. ذكرياته .. أشواقه ، إلا أن هذا الاحساس سرعان ماأخذ يتوارى ليحل مكانه احساس آخر . احساس بالقوة . احساس بالمغامرة ، على أنه لم يمض كثير من الوقت حتى أحس أنه فى قلب المغامرة ، ترى ماذا كانت هذه المغامرة الاولى فى حياته) .

ادريس : ماذا تفعل الآن بعد أن قضت مصر على «كبانيات» التجارة فى الجنوب .

عثمان : الواقع أنه موقف محير .

ادريس : مالى أراك صامتا يارابع أتراك حزينا على أنك وصلت الى «وكيل كبانية» ، ثم انتهت هذه الكبانيات .

رابع : انها لم تنته بعد «فللزبير» رحمة هنا .. نفوذ لايمكن للحكومة أن تصل اليه وعلى كل فأنا أرى أن ننضم جميعا الى الزبير .

عثمان : ولماذا لا نعود الى الخرطوم .. الى الآباء والامهات ، الى الوطن .

ادريس : وأين نحن اذن ؟!

رابع : انى أحس برائحة وطنى فى كل مكان هنا .. ثم بآى شىء نعود الى الخرطوم .

- عثمان** : بالمال الذى معنا .
- رابح** : ولكننا لم نحصل على مجد بعد .
- عثمان** : ان المجد فى نظرى أن أعود .
- رابح** : ولكنه فى نظرى ألا نعود الآن ، بل ألا نعود مطلقا الا اذا تحقق
شئ من أحلامى هنا . . ان سيفى قد علاه الصدا وقد أن له أن
يخفق كعلم فوق بحر الغزال .
- ادريس** : فى أى شئ تفكر ؟
- رابح** : أفكر فى أن نسير الآن فورا الى الزبير فقد سمعت أنه كون
جيشا ليرد به على (بيكر) الذى يتسلط على التجار والعرب فى
هذه المنطقة من الجنوب ، انه على قيد خطوات منا .
- عثمان** : لقد حمستنى فلنسر اليه .
- رابح** : فلنسر .

(موسيقى)

- بشرى** : (خادم زبير) ياسيدى . . ان رابح يزلزل الارض بالقرب منا .
- الزبير** : لقد سمعت عنه ماحبيه الى . . .
- رابح** : السلام عليك يا أبا سليمان .
- الزبير** : وعليك السلام يارابح . . وعلى من معك . لقد كنت أحب
الجلوس والاستماع اليك ولكن الجيش يستعد الآن لغزوة
(بحر الغزال) فأى شئ تحب أن أقدمه اليك ؟
- رابح** : أن أكون وصاحبى من سيوفك .
- الزبير** : مرحبا بكما . . مرحبا بكما . فى مقدمة جيشى والآن يارجال
الزبير الى الامام والنصر معكم وعليكم أن تحافظوا على شرف
المعارك مع القبائل التى ستقابلنا .
- رابح** : (صائحا) الى الامام ياجيش الزبير الى الامام .
- صوت** : الآن قد دانت بحر الغزال للزبير .

الزبير : فى وقت انتصارى هذا لا أنسى أن أذكر شجاعة رابع ، فقد كان يحارب ككتيبة وينقض كجيش انه من الآن ولدى وصديقى .

رابع : ان هذا يشرفنى ويعلى من قدرى .

الزبير : ان هذا رد على هؤلاء الذين يستعينون بالرجل الابيض فى فتح البلاد بدلا من استعانتهم بالسيوف الماضية من أبنائها .

رابع : ولكنى سمعت أنك دخلت فى مفاوضات مع حكومة الخديوى .

الزبير : نعم . . فانى لا أريد أن تقوم فجوة بينى وبين الحكومة . ثم انى أردت أن أسد الطريق على «البيض» الذين يمثلون الحكومة فى هذه المناطق ثم لاتنس أننا ما زلنا قوة ناشئة تشق طريقها بقسوة فى هذه المناطق المقفولة ، والتى يجب أن ترتبط بالوطن .

رابع : وماذا كان رد الحكومة ، وما الذى ننتظره منها ما دامت تنظر فى هذه البلاد بعيون غير عيوننا ، وتحس بقلوب غير قلوبنا .

الزبير : لقد وصلت الى النتيجة قبل اجتماعنا هذا مباشرة ، فقد عينت من قبل الخديوى مديرا لمديرية بحر الغزال .

رابع : انى أرى اسم الزبير يجب أن يكون مقرونا بمملكة كبيرة بمملكة تقوم فى دارفور .

الزبير : كأنك تزين لنا الحرب من جديد .

رابع : ولم لا . . وقد أخذ الجيش راحته . . وما زالت الحماسة تغلى فى النفوس .

الزبير : انك ملهم يارابع ، فلتصدر أوامرك .

رابع : على الجيش أن يستعد . . وأن يتزود بالمتونة الكافية فسنسير للخرطوم عن طريق دارفور وكردفان ، وسنلاقى فى سيرنا عرب الزريقات ، ولا شك اننا سنصطدم بهم وبحليفهم ملك دارفور .

(موسيقى)

الزبير : لقد كان قدومك الينا خيرا وبركة يارابع .

رابع : لقد وجدت نفسى حين وجدتك ، أما قبل ذلك فقد كنت ضائعا
والآن اعتقد أنى اكتشفت نفسى ، عرفت الحلم القديم الذى
يداعب خيالى ، قاربت أن أحقق هذا الحلم .

الزبير : انك جدير يارابع بكل خير ، ولكن مالى أراك غير مستقر فى
مكانك .

رابع : الانتظار هو الذى يقلقنى ان المعركة أهون على من الانتظار .

الزبير : لعلك تقصد انتظارنا للحكمدار اسماعيل. أيوب حاكم السودان
فسيصلى الى الفاشر اليوم هاقد لاح موكبه .

رابع : انى غير مرتاح لرؤية هذا الحكمدار .

الزبير : تقدم يارابع فهاهو فرسه ينهب الارض الينا .

(خطوات فرس يجرى)

الحكمدار : لقد أصبحت شيئا كبيرا يالواء زبير .

الزبير : لواء .

الحكمدار : نعم فقد أنعمت عليك الحكومة بهذا اللقب .

الزبير : شكرا للحكومة .

رابع : لا شكر الا للسيوف التى دارت فى المعركة .

الحكمدار : ماذا يقول هذا الرجل .

الزبير : انه ساعدى .. القائد رابع فضل الله .

الحكمدار : لقد سمعت عنه ، ولكنه لماذا يبدو الغضب على وجهه .

رابع : انها سمات المحارب ياسيادة الحكمدار .

الحكمدار : حتى صوتك غاضب .

رابع : انه صوت المحارب ياسيادة الحكمدار .

الزبير : فلنسر الى بيت الضيافة .

الحكمدار : أوه .. انه يبدو كأنه حانق على .. انه يضع يده على سيفه ..

انه يشهر سيفه . ماذا يريد أن يفعل ... ماذا يريد رابع .

الراوي : (عادت الآمال تداعب قلب رايح ، خفيقت نسمات المجد على جبينه تحت قيادة الزير باشا وبرغم المؤامرات ، ونفوذ الرجل الابيض فى السودان انه أحس انه لابد للظلام أن يضىء من حوله أن يزدهر بفجر افريقى يوفر للناس العدالة والحرية ومع أنه أدرك أن هذا الفجر لابد أن يرفع من أجله السيف ، فانه كان قرير النفس والعين معا ، فهو لا يحس بقوته الحقيقية الا حينما يكون هناك موقف يجابهه ، معركة تتحداه ، أمل يسعى الى تحقيقه ، وقد لاقى كل هذا ، ولكنه تصرف بحكمة وحذر ، وكان أن خرج من المحنة منتصرا .

بشرى لقد ارتعد الحكمدار حين رأى وجهك عابسا ويدك على سيفك .

رايح : لقد أردت أن أزلزل أعماقه ، ثم ان هذا نوع من الحرب .

بشرى : أترانا سنضع السيوف فى اغمارها فى يوم من الايام .

رايح : لقد استيقظت السيوف فى افريقية ولن تغمد الا فى ظل الحرية والسلام .

بشرى : ما أشوقنى الى أن ننعم بالحرية والسلام والسودان ، بل بافريقية -

رايح : بل بالعالم أجمع . فمن حق كل انسان أن يعيش فى سلام وفى حرية .

(موسيقى)

سليمان : مالى أراك مهموما يارايح .

رايح انى أحس أن قطعة من قلبى قد انتزعت بعد أن غادر والدك الزبير البلاد .

سليمان : انهم بلا شك سيرحبون به فى القاهرة .

رايح أنا أخالفك فى هذا . . أخالفك . وقد كنت على حق حين طلبت منه عدم السفر الى الخديوى اسماعيل ، قد سمعت أن الاجانب يسيطرون على عقله ، وانه قد مكن لبعضهم فى الشمال .

سليمان : وفي الجنوب كذلك .

بشرى : لقد وصل نبأ يقول أن غوردون قد كاد للزير عند الخديوى،
وانه خوفه من عودة الزير الى السودان كما ذكر له أن عودة
الزير تعنى اعلانه استقلال السودان .

رابح : وانا على ثقة من أن الخديوى قد سمع لهذه الوشاية .

سليمان : اننا نمثل هنا قلب افريقية النابض ولكن الاجانب لا يريدون
لهذا القلب أن يدق الا بين ضلوعهم . وهامهم يتسربون الينا من
خلال الخديوى . . من خلال ضعفه .

رابح : يخطيء من يظن أن افريقية نائمة .

سليمان : يخطيء من ظن أن اخواننا في الشمال نائمون .

رابح : انى لا أثق فيمن لا يثق بالشعب الذى يحكمه . فهل عقلت
مصر أو السودان حتى يستوردوا لنا ، البيض من وراء البحار
ليحكموها .

سليمان : ان تصرفات البيض تتصف دائما بالحقده على العرب .

رابح : هذا شيء طبيعى يا سليمان .

سليمان : لقد ذكر لى أن كازاتى كتب الى جريدة المكتشف بميلان يقول
« يجب أن نفصل تماما البلاد التى فى جنوب السودان عن البلاد
التى فى شماله . فالعرب المنتشرون فى البلاد يجب جمعهم .
وارجاعهم الى جزيرتهم العربية » .

رابح : هذا كثير . . فالعرب ليس لهم فى آسيا أكثر مما لهم فى
افريقية وأعتقد أن هذه حيلة لالتهام البلاد . . لالتهام كل
افريقية .

سليمان : كل افريقية .

رابح : انى أحس ضبابا كثيفا يقبل من بلاد بعيدة ثم يحط على نفسى
على بلادى .

سليمان : لا تبالح فى الوهم يا رابح .

رابح : بل هى الحقيقة . ان هناك خطة مدبرة تمتد خيوطها من يد
الخديوى حتى تصل الى لندن .

سليمان : لعلك تبالغ بعض الشيء يا رابع . . انك مهتموم اليوم حقا .
رابع : ومالى اذهب بعيدا . وقد وصلت الانباء بأن «ادريس بتر» أخذ
أعوان الحكومة سيعين مديرا لبحر الغزال .

سليمان : انها بلا شك أنباء سيئة .

رابع : انى سأكون أول من يرفع السيف فى وجهه ، فلن يعين أحد
على بحر الغزال والزير ما زال موجودا ومالى اذهب بعيدا فمن
الغد سأتحرش بجيش الحكومة .

سليمان : انه لامناص لنا من هذا .

يشرى : ان ادريس بتر وجنده قد عسكروا بالقرب منا .

رابع : فلنتحرش بهم من الآن .

سليمان : اذن فلنجمع القواد لنعطى لهم تعليمات بهذه المناوشة .

يشرى : سأجمع لك فورا .

(موسيقى - أصوات عدة)

سليمان : أيها القواد انى سأوجهكم الى معركة سريعة مع جند ادريس
بتر فقد جاء الينا باسم الحكومة . وبأسنم البيض الذين
يتحكمون فى البلاد ولن نسلم مكاسبنا أبدا لأحد ، لن نفر
من أمامهم ، ولن نسلمهم ذرة من الارض التى تقف عليها . .
هذه هى كل تعليماتى .

رابع : أرجو ألا تنسوا عنصر المباغته عنصر الضربة السريعة الحاسمة
وهأنذا أمامكم مع سليمان ابن قائدنا الزير .

أصوات : الى الحرب . . الى المعركة .

(موسيقى المعركة)

رابع : سليمان فلنتجلب . . لقد أصدر غردون من الخرطوم بيانا ذكر
فيه أنه شكل مجلسا عسكريا .

سليمان : ثم ماذا . . ثم ماذا ؟

رابع : وانه فى هذا المجلس حكم بالاعدام عليك وعلى أبيك . أبيك
الزير ياسليمان .

- سليمان** : علي وعلى أبي ؟
- رابح** : وأصدر أمره بوضع منازل الزبير في الخرطوم تحت الحراسة والقبض على كل من يمت له بصلة .
- سليمان** : كل من يمت له بصلة ؟
- رابح** : وأمر ببيع محتويات هذه المنازل في المزاد العلني .
- سليمان** : هذا كثير .. هذا كثير .
- رابح** : انى أشك في عودة الزبير فلتكن أنت الزبير .. فلتكن .. .
فالزبير لن يموت طالما أن سيوفنا ظلت مشهورة ولكنه سيموت
حين نغمد السلاح حتى ولو كان يعيش في القاهرة .
- سليمان** : ان التركة صعبة .
- رابح** : ونحن أقوى من كل شيء .
- سليمان** : لقد نسينا خبر الحملة التي وصلت بقيادة جسي .
- رابح** : لقد احتكنا بها في صباح هذا اليوم وقد بلغنى أن جسي يريد
مقابلتك للتفاوض معك في شئون البلاد .
- سليمان** : وما رأيك في هذا يارابح .
- رابح** : رأيي ألا نأمن لهذا المرتزق الايطالى .
- سليمان** : ولكنى أخالفك . فقد يكون يحمل شروطا تتصل بحياة
والدى .
- رابح** : ان مثله لن يحمل الا الموت .
- سليمان** : قد يحمل حياة الشيخ المفروض عليه الحصار في القاهرة .
- رابح** : سليمان . ضع عينيك على سيفك . ولا تضعها في وجه رجل
أبيض .
- سليمان** : ان حياة الشيخ عندى فوق كل اعتبار .
- رابح** : اننا ندافع هنا عن الوطن - كل الوطن .
- سليمان** : ولكنى أخالفك .
- رابح** : انك تخون بهذا الزبير .. والشهداء .. والوطن .

سليمان : تذكر أنى القائد •

رابع : تذكر أنى البلاد •

سليمان : انك تحرضنى الآن على مقابلته •

رابع : انى أحرصك على أن تعيش ... •

سليمان : فليتبعتنى حارساى لمقابلة حسى •

رابع : تذكر أنك وانت تخالفنى أنى نصحتك بعدم الثقة فى الاجانب
وعلى كل فأنا الوحيد الذى سيحمل عبء دمك. اذا قتلت وعبء
عودة الزبير الى مجده •

سليمان : سلاما رابع •

رابع : وداعا ياسليمان •

(موسيقى)

رابع : لقد مر وقت ولم يعد سليمان •

بشرى : انه كما قلت لن يعود •

رابع : انى أسمع أصواتا بعيدة •

(أصوات تقول سليمان قتل .. سليمان قتل)

بشرى : واسليمان •

رابع : لا تذرف دمة واحدة • الا اذا أخذنا بثأره من كل البيض •

بشرى : فلنقتل « جسى » •

رابع : انى لأرى الأمور كما تراها .. ان دائرة بصرى تمتد أكثر من
قبل ، فلنناد فى الجيش • انى سأتجه الى الغرب •

بشرى : ان جسى فى الشرق فلم نتجه الى الغرب •

رابع : فلتناد فى الجنود انى متجه الى الغرب •

بشرى : لن يتبعك أحد ، وبرغم ذلك سأنادى .. أيها الجند ان رابع
يامركم أن تتجهوا معه الى الغرب •

رابع : الى أية جهة يتجهون ؟

بشرى لا أدري فغبار المنطقة لا يميز اتجاههم •

رابح يا الله ان الغبار يخفى كل شيء •

بشرى : كل شيء •

- ٤ -

الراوي : (وفى ضوء الحديعة التى دبرت للزبير لكى يبعد عن ميدانه الحقيقى ، وفى ضوء الدماء التى سالت من سليمان بن الزبير وجد رابح انه لابد أن يحازب فى ميدان القتال والسياسة بنفس الضراوة •• بنفس الشجاعة ، وقد أثمرت حركته فى الامارات الصغيرة ، والقبائل التى كانت على طول امتداد الغرب من السودان وقد كان فى هذا كله يحس انه يقابل اخوة له وأصدقاء بعد أن ينجلي غبار المعركة ومع أن هذا كان يرضيه الا أنه أحس بانزعاج حينما رأى أن الفرنسيين يتحسسون أماكن لهم فى هذه المنطقة ، وقد أدرك تماما انه وقد ترك الانجليز وراءه لابد أن يصطدم بالفرنسيين فى هذه المنطقة •)

رابح أشكركم فأنتم الآن ألف فارس ، تستطيعون أن توقظوا الصحراء وتقلقوا الأعداء وتهزوا اعماق افريقية •• فالى أين تحبون أن نتوجه ؟

قائد : الى حيث تحب فنحن وراء رايتك فى الصحراء والغابات والأنهار •

رابح انى أريد تكوين مملكة بسواعدكم نبنيها بالعرق والدموع فى هذا الامتداد الافريقى الكبير ، فاذا تم لى ما أردت عدت بجيشى قوى لتحرير الوطن •

قائد : لقد كان رأيك هو الصائب دائما فلتتقدم •

رابح هيا على بركة الله •

(خطوات متواصلة)

قائد : أين نحن الآن ؟

قائد : لقد جئت الى هنا من قبل فى أجده اسفاري •• ان هنا بحر مأمون •

رابع : حيث تقيم قبيلة «قلا» لقد سمعت انها شديدة المراس •

قائد : لن تكون أقوى من ساعدك •

رابع : فلنتقدم •

(خطوات متواصلة وأصوات معركة)

قائد : والآن وقد انتصرنا فالى أية جهة نتقدم ؟

رابع : اننا قادمون - كما قيل لى - على قبيلة «الزنقا» وقد ذكر لى أن

سلطانهم (هاشم أبو حقيقة) من المحاربين الاقوياء •

قائد : لن يكون أقوى من رابع •

رابع : هاهى ديارهم قد لاحت لنا •

قائد : انهم مسلحون • • فهم على علم بمقدمنا •

رابع : لقد أصبحنا نملاً المنطقة بانتصاراتنا •

قائد : بل قل بانتصاراتك •

رابع : ان نصيبى لا يقل عن نصيب واحد منكم فى تحقيق هذا النصر •

قائد : هاهم أمام رماحنا وسيوفنا •

(خطوات متواصلة وأصوات معركة)

(موسيقى هادئة)

قائد : والآن وقد ارتحنا فلنتقدم الى «كيتى» فهى غير بعيدة من هنا •

رابع : هيا يا جيش رابع •

(أصوات الخيل)

قائد : انى لا أرى أحدا •

رابع : بل أرى السلطان الذى قيل ان اسمه «السنوسى أبكر» •

قائد : انى أكاد أرى ابتسامته •

رابع : سلام عليك يا سلطان • انى أعرض عليك السلام •

السلطان : وأنا أقبله .. فادخل بلادى محفوفاً بالطمأنينة ، ان بيتى من هنا فى ظاهر المدينة .

رابح : فلنترجل يا رجال .

السلطان : يا أهل كيتى ان من يقابلنا بالسلام نقابله بالسلام ، فأكرموا ضيوفكم .

رابح : لقد أسرتنى بكرمك .

السلطان : لقد سمعت عنك قبل مقدمك وانا معك فى أن هذه القبائل يجب أن تتوحد تحت راية واحدة ، وانا وشعبى اليوم من جنودك .

رابح : انى أسير كرمك .

السلطان : بل واتركنى أعرض عليك احدى بناتى ، ولابنك هذا ، ما اسمه .

رابح : فضل الله .

السلطان : واحدة أخرى من بناتى .. حتى تتوثق بيننا العرى .

رابح : هذا ما لم أحلم به .

السلطان : أقدم اليك الآن الشاعر البخيت الجعلى .. ليقول لنا شيئاً من شعره .

رابح : قل يا بخيت .

الشاعر : لن تسمح منى أيها السلطان الا قضايا وطنى ..

رابح : وهل هناك أجمل من قضايا الوطن .

الشاعر : لا تأمن ناساً خائنين قباح .

أولادك لا بسين شباك شايلىن سلاح .

آدم أبو أم كلثوم ولدت نجاح .

مضمون يفدى الطير عند الصباح .

رابح : من هو آدم أبو أم كلثوم ..

السلطان : هو أكبر أبنائى .. الواقف وراءك .

الشاعر : لا تأمن ناس خائنين كفر .

من ربنا الوهاب جاك النصر .

آدم أبو أم كلثوم ودلت قدر

مضمون يفدى الطير عند الفجر

السلطان : ألا تقول شيئاً مدحا في السلطان رابع .

الشاعر : انى امدحه حين اعرض عليه قضية شعب كيتى ..

رابع : ما احوجنى الى سماع هذه القضية .

الشاعر : لقد حضر جماعة من الفرنسيين الى السلطان واهدوا اليه

بعض الأسلحة الحديثة ولكنهم اثاروا ريبتى بعملهم هذا ،

فما الذى يحملهم على تقديم هذه الهدية .. ثم انى رأيتهم

اكثر من مرة يجولون في البلاد ، وينظرون الى مداخلها ، ثم

يخططون على ورق في أيديهم ، وفي أعينهم شيء غريب يحمل

على الخوف .

رابع : لقد عانيت من هذا الشيء الغريب الكثير لقد وجدته في بلادى

فى وجوه الأنجليز وماقد كتب على أن أراه هنا فى وجوه

الفرنسيين .

السلطان : لاداعى للخوف .. فهم يعاملوننى بأدب ولطف هيا الى

الاماكن التى هياها الشعب لكم . وأهلا بكم ..

(خطوات تصور الانصراف .. موسيقى حزينة)

آدم : (يصرخ ياسلطان رابع .. ياسلطان رابع) .

رابع : ماذا يا آدم ؟

آدم : ان أبى ما كاد ينصرف من عندك الى حجرتة حتى صوب أحد

الفرنسيين مسدسه الى جبهته ثم أطلقه .. مات أبى مقتولا

بيد الفرنسيين ..

رابع : لا تبك على والدك فقط . فسيتساقط كثيرون بأيدي هؤلاء

الدخلاء الذين بدعوا. يتسللون الى بلادنا من الشرق ومن

الغرب ..

آدم : سأنتقم له .

رابع : لا . لا انها قضية الملايين فى القارة . فاذهب واستعد لدفن

السلطان .

آدم : سأثار له من الآلاف ..

رابع : انهم يطوقوننى الآن من الشرق ومن الغرب . انهم يضربون

فى الظلام ولكن من . من القادم .. من القادم ..

الراوى : (لقد وحد « رابع فضل الله » قلوب الافريقيين مما جعل النفوس تحيط به ، والآمال القومية ترفرف فوقه كأعلام فقد كان «حركة بعث» فى تلك المنطقة التى كانت راكمه فقد جمع القلوب المتنافرة ووجد الآمال المتناقضة وسلك الناس من حوله فى خيط واحد .

وكان أن قامت دولة كبيرة تحت لوائه تخضع لنظم دقيقة توائم هذا العصر . وقد كان ظهور دولته دليلا واضحا على أن قلب القارة مازال ينبض وأن افريقية مستعصية على القوى الدخيلة وان « رابع » يمثل شكلا من اشكال القوة الأفريقية ..)

رابع : لقد سرنا فى التاريخ مراحل طويلة ..

فضل الله : لقد تغلبنا على السلطان « كرونديس » سلطان قبائل «بندة» وعلى السلطان « ونبقو » سلطان قبيلة « منجا » وعلى السلطان « جليبو » سلطان قبيلة سارا والسلطان اندمانه ، سلطان دندى ..

رابع : والسلطان كادى سلطان « بافرما » ، والسلطان جقو سلطان «بحر ارده» ، والسلطان « أم - بنداي » سلطان أحد أقسام «سارا» ، والسلطان « بنداس » سلطان قبيلة كريش .

فضل الله : السلاطين وقى ، وسمراى ، وعبد الرحمن تورنه ، ويوسف .
رابع : ان تتويج انتصاراتنا كان بلا شك وضع يدنا على مملكة البرنو .

فضل الله : ان سكان هذه المملكة خليط من البرنو والكانجو ، والعرب والفلانه .

رابع : لقد ذكر لى ان « البرنو » من عرب جهينه .

فقيه : لقد نزح أهلها من مصر الى هنا مدة حكم الفاطميين ، ثم جعلوا عاصمتهم مدينة قزرقموا ، وصلات هذه البلاد بمصر وثيقة ، وقد تولى حكمها قبل مجيئك رجل أزهرى من « الكانمو » يسمى الشيخ محمد الكانمى ..

فقيه آخر : لقد سمعت أن البرنو يرجع نسبهم الى « حمد » الذى هاجر
بعض أهلها الى نيجيريا فى أوائل الاسلام .

رابع : انى أرتاح الى كل مكان يوجد فيه العرب . . . ولما كانت «برنو»
هذه تفوح منها رائحة العروبة فانى سأجعل فيها عاصمة ملكي
ومنها سأعمل على نشر الاسلام فى البلاد المجاورة .

فقيه : لقد أديت الى الاسلام هنا الكثير ، وقد سررنا اليوم باعلانك
بناء مسجد كبير فى بلدة « دكو » .

رابع : لو استطعت لأقمت فى كل مكان بافريقية مسجدا لأنه حيث
يوجد الاسلام الصحيح توجد الحرية والسلام ، وإلحياة
الكريمة .

فقيه : ان أياديك على هذه البلاد بيضاء . . فنحن لا ننسى أمرك
بتأليف المجلس الشرعى برياسة الفقيه أحمد كبير .

رابع : أنه رجل فاضل يخرج النور من شفتيه . .

فقيه : ونحن لا ننسى هنا أخذك بمذهب الامام مالك . .

رابع : لقد لاحظت أنه منتشر فى افريقية أكثر من أى مذهب آخر .

فقيه : نحن لا ننسى عكوفك على القرآن وعملك على تأكيد تعاليمه فى
القلوب ، انى لا أزال أتذكر اليوم الذى دخلت منتصرا الى
برنو ، فقد أمرت بإطلاق المدافع التى كانت شيئا جديدا على
البلاد مما أزعجهم ، وجعلهم يفرون من الخوف . .

رابع : ولكنى طمأنت قلوبهم حين أمرت بقراءة القرآن ، فإذا هم
يقبلون ، والبشر يكسو نفوسهم .

فقيه : ان القرآن يملأ القلوب دائما بالطمأنينة . .

رابع : هاهو الشيخ « أحمد كبير » قد هل نوره على مجلسنا . . أهلا
بك . . .

أحمد كبير : أهلا بك . . وبعدك الذى ملأت به البلاد والنفوس .

رابع : تعال ولتجلس الى جانبي ، حتى لا أعلو عليك قيد شغره . .

أحمد كبير : شكرا شكرا . . ولنأذن بدخول أعضاء المجلس الشرعى لأننا
سنعقد جلسة بحضورك .

رابع : ان هذا يشرفنى .. وليس أحب الى من الاستماع الى عالم يتحدث .. فليدخلوا .

أحمد كبير: لقد لاحظنا أنه ليس لك لقب تنادى به .. وقد شغلنا هذا كثيرا .

رابع : ولكنه لم يشغلنى ..

أحمد كبير: ان عندك دائما مايشغلك من سياسة أمور الرعية ، وتأكيد ملكك ، والعمل على نشر الاسلام فى البلاد المجاورة ، وقد رأينا أن نشغل أنفسنا بك مادمت تشغل قلبك بشعبك .

السلطان
رابع : انى سأعتصم بالصمت . وسأقبل ما تشيرون على به .

أحمد كبير: شكرا فقد عودتنا احترام رأى المجلس الشرعى ..

والآن أيها السادة . ما الذى تقترحونه لقباً لرابع ..

فقيه : لقد تم وضع الأسس التى يقوم عليها بناء هذه الدولة . ونريد الآن أن نكمل هذا البناء ولن يكمل هذا البناء الا بتحديد شخصية رابع ..

فقيه : أقترح تسميته سلطان السلاطين رابع فضل الله .

فقيه : أقترح تسميته شاهنشاه ..

فقيه : ولم لا يسمى سلطان سلاطين العرب .

أحمد كبير: ولم نذهب بعيدا فنسميه سلطان السلاطين ، أو شاهنشاه .. أو سلطان سلاطين العرب .. انى أرى أن اللقب الذى استحقه بجدارة . وبهرق وشجاعة . هو « سلطان برنو وملحقاتها » .

رابع : فليسمع لى الفقهاء .. برفع الصمت الذى أعلنته من فترة . وبموافقتى على هذا اللقب الجديد .

أحمد كبير: والآن فلنفكر فى الحلة التى ستكون شعار هذه السلطنة .

رابع : أقترح أن يرتدى غالى الثياب .. وأن يضع على رأسه تاجا من الذهب .

رابع : ولكن الهزيمة تترك ندوبا في الجيش .. وعلى كل فلنتقدم هيا يا جيش رابع الى المعركة لقد انتصرتم دائما تحت رايتي فالى نصر آخر ..

(خطوات الخيل .. موسيقى تصور المعركة موسيقى هادئة)

فقيه ١ : ان جيشنا يخترق صفوف الأعداء .

فقيه ٢ : ان رابع يخفق كالعلم . ويتحرك كنسر .

فقيه ١ : ولكن ما هذا يا للهول ..

فقيه ٢ : ان الفرنسيين يحولون الى رابع مدفعسا بعد أن فشلوا في اصابتة .

فقيه ١ : مدفع يا للهول .

فقيه ٢ : فلنخترق الصفوف لننف من دونه .

فقيه ١ : فلنسرع .

فقيه ٢ : « صوت مدفع » لقد انطلق صوت المدفع ..

فقيه ١ : ها هو السلطان يتهاوى ..

رابع : ليست الشجاعة هي التي قتلتني وانما التفوق الحربي ان جيشي لم يخذلني ، ولكن الخونة من أهل البلاد .

جندي : لقد قتلت الجنرال « لامي » قائد الفرنسيين ..

رابع : « في صوت متقطع » وما الفائدة ، فسيبقى هنا الفرنسيون ، بوساطة الخونة .

فقيه : ولكنك ستبقى أكثر منهم .

فقيه ٢ : ستحس البلاد بك برغم بقائهم وذهابك الى ربك ..

رابع : أودعك الآن . سأختفي عنكم . ولكن حين يخرج الفرنسيون سأعود . سأعود لقيادتكم في ظلال الحرية أما الآن فالوداع .

تم بحمد الله

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
مقدمة	٧
ليوبولد سيدار سينفور	١١
وليم تيمان	١٧
كينث كواندا	٢١
نيلسون مانديلا	٢٧
عثمان سمين	٣١
المثال سادو	٣٦
الدكتور وليم دوبوا	٤٢
الدكتور جيمس أجرای	٤٧
الملك نخاو	٥١
حميد المرجبی	٥٥
عمر مکرم	٦١
رابع فضل الله	٧٩

الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ١١٢

١٩٦٥/٣/٢٣